مركزية الأبعاد التربوية في منظومة الفضيلة للعلامة السيّد عبد الرحيم الكردي الملقّب بالمولوي(ت1882م)

عمار جيدل

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٤/١٠/١٢ تاريخ نشر البحث ٢٠٢٥/٠٦/٢٢

ملخص البحث:
منظومة "الفضيلة" للشيخ عبد الرحيم المولوي نص مميّز في علم الكلام، تميّز بالحرص على بيان ثمرة العقائد وفوائدها، والتنبيه إلى أهمية التحصّن بالله لإنقاذ الإنسان، وترسيخ معاني مملوكية الإنسان لله، إذ تمكينها منه مدخل عظيم معرفيا ومنهجيا ثم تربويا، أساسه صدق الانتساب إلى الله، وهو عامل فعّال في منع تغوّل العقل، إذ يدخله بهذا في سياق العبودية الخالصة لله بالعقل والقلب والسواعد.
وضع الشيخ عبد الرحيم منظومته وفق التقسيم الأشعري لدرس علم الكلام، وطبع مضمونها باللون الجامع بين علم الكلام وبُعْده التربوي، فكان هذا البُعْدُ ظاهرا في الاستهلال، وفي القسمين الباقيين، اتّسمت به الممهّدات المعرفية التي أراد بها تربية الجيل على معرفة الاستدلال ومبانيه، والتأكيد على أنّه لا عقيدة معتبرة عند الله ما لم تكن مؤسسة على الدليل، ثم حقّق القول في كلمتي الشهادتين، والتي سماها تسمية ناطقة بثمرتها (جنّة مثمرة سعادة النشأتين)، فكان من الأول التنبيه إلى ضرورة تربية الجيل على استجلاب ثمرة معرفة الله وصفاته، وفي الثانية أكّد على التربية بمعرفة الوسيلة الكبرى(سيّدنا محمد)، فالشرف كلّ الشرف بمعرفة مقام النبي واستحلاب ثمرة الامتثال منها.
كانت المنظومة طافحة في تبويبها(النبع، المشرعة، والصبرة، والجفنة، والغرفة، والجنّة، والسعادة، و...)، بالبُعد التربوي، تجلى أيضا في أقسامها (الاستهلال، والمقدمات، العقائد)، إنّها منظومة جامعة بين العلم والمنهج وثمرتهما في نجاحا الدنيوية وفلاحا في الآخرة، فكان المصنّف استئنافا واعيا للدرس الأشعري لعلم الكلام الأشعري، ومتجاوزا له باستعادة العناية بالتربية والتسليك بأسلوب علمي ومنهجي.

مقدمة:
منظومة "الفضيلة" للشيخ عبد الرحيم المولوي نص مميّز في علم الكلام، تميّز بالحرص على بيان ثمرة العقائد وفوائدها، والتنبيه إلى أهمية التحصّن بالله لإنقاذ الإنسان، وترسيخ معاني مملوكية الإنسان لله، إذ تمكينها منه مدخل عظيم معرفيا ومنهجيا ثم تربويا، أساسه صدق الانتساب إلى الله، وهو عامل فعّال في منع تغوّل العقل، إذ يدخله بهذا في سياق العبودية الخالصة لله بالعقل والقلب والسواعد.
وضع الشيخ عبد الرحيم منظومته وفق التقسيم الأشعري لدرس علم الكلام، وطبع مضمونها باللون الجامع بين علم الكلام وبُعْده التربوي، فكان هذا البُعْدُ ظاهرا في الاستهلال، وفي القسمين الباقيين، اتّسمت به الممهّدات المعرفية التي أراد بها تربية الجيل على معرفة الاستدلال ومبانيه، والتأكيد على أنّه لا عقيدة معتبرة عند الله ما لم تكن مؤسسة على الدليل، ثم حقّق القول في كلمتي الشهادتين، والتي سماها تسمية ناطقة بثمرتها (جنّة مثمرة سعادة النشأتين)، فكان من الأول التنبيه إلى ضرورة تربية الجيل على استجلاب ثمرة معرفة الله وصفاته، وفي الثانية أكّد على التربية بمعرفة الوسيلة الكبرى(سيّدنا محمد)، فالشرف كلّ الشرف بمعرفة مقام النبي واستحلاب ثمرة الامتثال منها.
كانت المنظومة طافحة في تبويبها(النبع، المشرعة، والصبرة، والجفنة، والغرفة، والجنّة، والسعادة، و...)، بالبُعد التربوي، تجلى أيضا في أقسامها (الاستهلال، والمقدمات، العقائد)، إنّها منظومة جامعة بين العلم والمنهج وثمرتهما في نجاحا الدنيوية وفلاحا في الآخرة، فكان المصنّف استئنافا واعيا للدرس الأشعري لعلم الكلام الأشعري، ومتجاوزا له باستعادة العناية بالتربية والتسليك بأسلوب علمي ومنهجي.

تُعَد منظومة "الفضيلة" نصا في علم أصول الدين (علم الكلام)، ويضمن هذا الدرس مسائل العقائد وما يتوقّف عليها من معارف منهجية، وميزة هذه المنظومة المباركة تحليتها بمباحث خادمة للبُعْد الوظيفي لمعارف الإيمان، إذ فيها إشارات راقية لطالب الحقيقة والتربية والسلوك والتسليك، رام بها صاحبها التعريف بالعقيدة الإسلامية على مشرب السادة الأشاعرة مع إشارات غير قليلة للسادة الماتريدية بروح تعليمية ذات بُعْد تربوي نقشبندي.

ما بيّنات هذه الأبعاد التربوية في المنظومة.؟ هذا ما نحاول بيانه في هذه الورقة البحثية، ولأجل الوفاء بمتطلبات ما أشرت إليه، قسّمت المحاضرة وفق ما يأتي:

المبحث الأول: منظومة الفضيلة هندستها ومصادرها.

المطلب الأول: تعريف بمنظومة الفضيلة: مضمونها، وهندستها. المطلب الثاني: مصادر منظومة الفضيلة.

المبحث الثاني: التربية وتجليات محاورها في المنظومة.

المطلب الأول: الحقائق التربوية في منظومة الفضيلة. المطلب الثاني: المحاور التربوية في منظومة الفضيلة.

المبحث الثالث: الأبعاد التربوية في المنظومة وتجلياتها.

المطلب الأول: البعد المعرفي. المطلب الثاني: البعد المنهجي.

الخاتمة

المبحث الأول: منظومة الفضيلة هندستها ومصادرها.

المطلب الأول: هندسة منظومة الفضيلة.

أولا: تأليف منظومة الفضيلة:

1- **مسلك التأليف المنظوم:** منظومة الفضيلة درس في العقيدة صيغت رجزا أي نظما، فهي أرجوزة شعر موزون سهل الحفظ، ألفاظه وعباراته سهل على المتعلّم تذكّرها عند الحاجة لخفّة وزنها.

اقترنت الأرجوزة في تاريخنا العلمي والأدبي بالغايات التعليمية، فأصبحت الأرجوزة الطابع المحبّب للشعر التعليمي، ساعدهم على تبنيه وفرة موسيقاه، يستعاض بها عن نقص الصناعة الشعرية في هذا الضرب الجاف من ضروب الشعر[1].

يُعَدُّ التعليم أهمّ أغراض نظم الرجز، تُقَدَّمُ به العلوم والمعارف لجمهور المتلقين، لأنّه يسهّل نظم المعلومات والمعارف والحكم والخبرات.[2]

2- **ميزة كتابة المنظوم**[3]**:** تقديم منجز تعليمي منظوم متوقّف على توفّر جملة من الشروط الموضوعية، إذ من لا يملك ناصية لغة ما لا يمكن أن يقدّم بها نصا منظوما، بصرف النظر عن هذه اللغة، فضلا عن الإحاطة بالعلم الذي يريد أن يقدّمه منظوما، وفاقد العلم فهما وتفهيما لا ينتظر منه تقديم نظم في موضوع من المعرفة، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

3- **شروط النظم الكلامي**: يتوقّف تقديم نظم في علم الكلام باللسان العربي على الإحاطة بلغة النظم وعلم أصول الدين وأعلامه ومصطلحاته، وظهر الشيخ عبد الرحيم في هذا المصنف عارفا محقّقا باللغة العربية وعلم أصول الدين على مشرب السادة الأشاعرة، زيّن منظومته بأساطين المذهبين الأشعري –وهو الغالب- والماتريدي[4]. وزاد الشيخ دقّة الجوانب الفنيّة، بوفرة مصطلحات غير معهودة بين أهل هذا الفن، منها: المنبع، والمشرعة، والجفنة، والصبرة، والجنّة، والوقر، والمكيال، والحبة. وهي مصطلحات لها أبعاد تربوية فضلا عن أبعادها المعرفية والمنهجية.

ثانيا: هندسة منظومة الفضيلة:

نَوَّع الشيخ عبد الرحيم في عرض مضمون منظومته "الفضيلة"، ولم يخرج في الغالب الأعم عن مسالك الأشاعرة[5]، كما لا يَبْعُد الاستفادة من بعض ما وردت به كتب السادة الماتريدية.

---

[1] – راجع: تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، 404/2

[2] – راجع: المرجع نفسه: 5/ 530.

[3] – يحسن بهذا الصدد اهتبال الفرصة للتأكيد على أنّ رمي أدب النَظْمِ بالتخلّف وجعله أمارة تقهقر العلوم، ليس صحيحا بإطلاق، وهو حكم مجمل بحاجة إلى استفصال. شيوع نمط ما من التأليف راجع بالمقام الأول إلى مستويات المتلقين للمعرفة وأحوالهم الاجتماعية والفكرية والأدبية.

[4] – راجع، إشارات المرام من عبارات الإمام، البياضي الحنفي، ص:23

[5] – راجع على سبيل المثال لا الحصر، تقسيم عضد الدين الإيجي في كتابه المواقف. الفهرس، ص: 3-20.

1- **نظريــة المعرفــة الكلاميــة فــي المنظومة(الفضــيلة):** تُعــرف نظريــة المعرفــة الكلاميــة فــي كتــب المتقــدمين بالمقــدمات الأساســية لتعلــيم العقائــد والاســتدلال عليهــا، وردّ شُــبَه المناهضــين لهــا، وهــذه المقدّمات ممهدات ليست من العقائد، ولكنّها متمفصلة بها.

تضــمّنت المقــدّمات ثمانيــة مشــارع حقّــق بهــا القــول فــي جملــة المعــارف الأساســية التــي يحتاجهــا المســتدل علــى معرفــة العقيــدة الإســلامية تأصــيلا أو ردا علــى مخــالف أو مشــاغب، وهــو بهــذه الصــناعة يحيــي مســالك المتقــدمين، مــنهم علــى ســبيل المثــال لا الحصــر حجّــة الإســلام الغزالــي فــي كتابــه الاقتصــاد فــي الاعتقــاد، فقــد قســم كتابــه إلــى تمهيــدات وأقطــاب[1]، فطريقــة الشــيخ المولــوي اســتئناف واعــي لجهــود سلف الأمة في مقدّمات الدرس الكلامي.

وأورد قبــل المقــدمات، اســتهلالا يشــبه المقدمــة العامــة للمنظومــة، عــرض فيــه أســباب التــأليف، وأورد الاستهلال في ثلاث مشارع، مدارها على الإحسان والإيمان والإسلام[2].

أمــا المقــدّمات فــذكرها فــي خمــس مشــارع مرتبــة فــي جفــان[3]، مــدارها علــى نظريــة المعرفــة الكلاميــة، وفق ترتيب أكابر أهل الفن من المتكلمين.

2- المضــمون العقــدي لمنظومــة الفضــيلة: عــرض الشــيخ المولــوي أمهــات المســائل العقديــة فــي جنتــين مثمــرتين لســعادة النشــأتين(الــدنيا والآخــرة). شــرح فيهمــا كلمــة التوحيــد (لا إلــه إلاّ الله محمــد رسول الله).

أ- أولــى كلمتــي الشــهادتين: جعــل الكلمــة الأولــى مــن الشــهادتين (لا إلــه إلاّ الله) هــي الجنّــة الأولــى فــي منظومتــه، عــرض مضــامينها فــي صــبرات، جعلهــا كــالأواني (الآنيــات) تحمــل أوقــارا، ثــم بــدأ بســرد الأوقار.[4]

ب- الثانيــة مــن كلمتــي الشــهادة(أشــهد أنّ محمــدا رســول الله): الجنّــة الثانيــة نــوّع عــرض مــادة مضــامينها، فحقّــق القــول فــي النبــوات ومتعلّقاتهــا، واختــار التفريــع تحــت عنــوان صــبرات، واختــار المكيــال (جمعــه مكايــل) أساســا فــي تفريعهــا[5]، وفــرّع عــن بعــض الفــروع حبّــات لذيــذات، و البُعْــد التربوي لمصطلحات التفريع ظاهر في هذه المنظومة العقدية العرفانية.

المطلب الثاني: مصادر منظومة الفضيلة.

احتفــل العلامــة عبــد الــرحيم المولــوي بــالخبرة المعرفيــة لأهــل الســنّة الأشــاعرة، فكانــت المنظومــة أشــعرية بامتيــاز، شــاهده المضــمون الــذي عمّــت فيــه الإحالــة علــى الشــيخ الأشــعري وبعــض أئمــة الأشــاعرة عبــر العصــور، وبمــا أنّــه فــي فضــاء يعــيش فيــه الماتريديــة (الجنــاح الثــاني مــن أهــل السـنّة)، فقــد ذكــرهم فــي مقــام المقارنــة والتــأثر، كمــا نقــد عــددا مــن المعتزلــة والفلاســفة، وهــي وســيلة فعّالــة لتطعيم المتلقي ضد الشبه.

أولا: المصادر الأشعرية:

1- تنوّعــت إحالاتــه علــى المــذهب الأشــعري، فأحــال علــى شخصــية الإمــام المؤســس الأشــعري، كمــا كــان كثيــر الإحالــة علــى المــذهب (الأشــاعرة)، فكــان منهــا الإحالــة علــى أبــي الحســن الأشــعري(ت:333ه)[6] وهــي أكثــر إحالاتــه[7]، واســتعمل صــيغا صــريحة فــي تبنــي أقــوال الأشــعري المشهورة[8].

قال الشيخ المولوي: وبينَ شَيْخَيْ[9] أصول الدين ... متفق عليه باليقين.

2- الإحالة على الأشاعرة والإكبار من مركزهم:

---

[1] – راجع الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي. الفهرس.

[2] – المقدمة والاستهلال: عرض فيها التعريف بأسباب التأليف.

[3] – حوتها المشارع من الرابعة إلى الثامنة وفيها جفان.

[4] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 446. ضمّنها خمس صبرات فصّل القول فيها في أوقار.

[5] – عرض مادتها في ثمانية صبرات، قسّمها إلى مكايل، في السبع الأولى، وعاد في الثامنة للوقر أساسا في التقسيم.

[6] – تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر ص: 147- 148

[7] – الوسيلة، ص: 571.، 605، 612.، 617. 627، 50، 59، 589، 594... راجع المواقف، عضد الدين الإيجي، ص:312. أبكار الأفكار الآمدي، 383/2 وما بعدها.

[8] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 629.

[9] - المراد بالشيخين الأشعري و الماتريدي، رحمهما الله. وقد أورد الشيخ شيئا من الاختلاف بينهما في مسألة الكسب.

نـــصّ علـــى مـــذهب الأشـــاعرة[1]، وعـــدّه مـــذهبا شـــامخا، فوصـــفه بقولـــه (رحمـــه الله): **فـــذان مـــذهبان راسخان كقنن الجبال، شامخان.**

- أئمـــة الأشـــاعرة المحـــال علـــيهم فـــي مـــتن الوســـيلة: البـــاقلاني القاضـــي(ت405ه)[2]، وأبـــو إســـحاق الاســـفراييني(ت 418ه) [3]، وإمـــام الحـــرمين الجـــويني(ت: 478ه)[4]، وأبـــو حامـــد الغزالـــي(ت: 505ه)[5]، والبيضـــاوي ناصـــر الـــدين (ت: 685ه)[6]، والآمـــدي ســـيف الـــدين(ت: 631ه)[7]، وســـعد الـــدين التفتـــازاني (ت: 791ه)[8]، والســـيّد الشـــريف الجرجـــاني(ت: 816ه)[9]، العـــارف ســـيدي محمـــد بـــن يوســـف السنوســـي (ت895ه)[10]، وجلال الدين الدواني (ت:918ه)[11]، وأغلب هؤلاء أشاعرة شافعية فروعا.

ثانيا: الإحالة على الماتريدية ونقد بعض المعتزلة والفلاسفة:

احتفـــل بشـــكل لافـــت بالمـــذهب الماتريـــدي وشـــيخه، ونســـجل بهـــذا المقـــام أنّـــه لـــم يـــذكر أعلامـــا مـــن الماتريديـــة، واكتفـــى بالإشـــارة إلـــى المـــذهب وشـــيخه فقـــط، أحـــال علـــى إمـــام المـــذهب الماتريـــدي (ت:333ه)[12]، شـــارح مـــا ورثـــه عـــن أبـــي حنيفة(رضـــي الله عنـــه)، واعتبـــره الشـــيخ عبـــد الـــرحيم إمامـــا هماما، كمـــا عـــدّه أحـــد شـــيخي أصـــول الـــدين، وهـــو مقتـــدى أكثـــر أهـــل الســـنة الحنفيـــة، ووصـــف الماتريديـــة بالمـــذهب الشـــامخ[13]. وفـــي ســـياق النقـــد أورد اســـمين مشـــهورين: المعتزلـــي إبـــراهيم النظـــام(ت: 231ه)[14]، وابن سينا(ت: 428ه)[15] من الفلاسفة الإسلاميين.

المبحث الثاني: التربية وتجليات محاورها في المنظومة.

---

[1] – الوسيلة، ص: 638

[2] – الطبقـــات الشـــافعية الكـــبرى، 15/5. تبيـــين كـــذب المفـــتري (يتصـــرف)، ص: 217. راجـــع الوســـيلة في شـــرح الفضـــيلة، ص: 569.، 620. 627. راجع المواقف، ص: 312.

[3] – تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص: 244. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي256/4. الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 583، 627. راجع ابكار الأفكار، 383/2

[4] – راجع تبيين كذب المفتري، ص: 279–285. وراجع ترجمته الموسّعة ومرافعة علمية عنه في طبقات الشافعية الكبرى، 165/5–222. فتلاحظ أنّ عدد صفحات كثير جدا. (جاوزت الثلاثين صفحة)، راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 567. راجع أبكار الأفكار، 384/2، المواقف، ص: 312

[5] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 618. راجع في الترجمة: تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص: 291. الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي ص: 54.–55

[6] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 616. الطبقات الكبرى، 157/8. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 183/4 مطالع الأنوار على مطالع الأنظار، البيضاوي، ص: 202.

[7] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 617. راجع أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، 383/2–425 راجع في ترجمتـــه، الـــتي هـــي أحســـن مـــن ترجمـــة الـــذهبي الـــتي احتـــوت كثـــيرا مـــن الغمـــز: تاريـــخ الحكمـــاء، القفطـــي، ص: 240–241. راجـــع أيضـــا: ســـير أعـــلام النـــبلاء، الـــذهبي 364/22–367 راجـــع: الطبقـــات الكـــبرى، الســـبكي (بتصرف)306/8–307

[8] – راجع الوسيلة، ص: 616. راجع في الترجمة: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي 285/2

[9] – راجع الوسيلة، ص: 59، 617– 618، 629. وفي الترجمة راجع: بغية الوعاة، السيوطي، 2/ 196–197.

[10] – البســـتان في ذكـــر الأوليـــاء والعلمـــاء بتلمســـان، ابـــن مـــريم، ص: 237– 248، شـــجرة النـــور الزكيـــة في طبقـــات المالكيـــة، مخلـــوف، ص 266. راجـــع المـــنهج الســـديد في شـــرح كفايـــة المريـــد، السنوســـي، ص:462، شـــرح العقيـــدة الكـــبرى، المســـماة عقيدة أهل التوحيد، السنوسي، ص:164– 166. راجع العقيدة الوسطى وشرحها، السنوسي، ص: 175.

[11] – راجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي 133/7. راجع: الوسيلة، ص: 622.

[12] – راجع طبقات المفسرين، الأدنه وي ص: 69–70

[13] – راجع الفضيلة في شرح الوسيلة، ص: 569، 571، 590، 628،626،594، 629، 638.

[14] – راجع إبراهيم النظام بن سيّار النظّام وآراؤه الكلامية الفلسفية، أبو ريدة، ص: 179. راجع الفضيلة في شرح الوسيلة، ص: 365

[15] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 174. راجع في ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص:437–459

المطلب الأول: الحقائق التربوية في منظومة الفضيلة.

أولا: المحتوى التربوي للاستهلال[1]:

1- **براعة الاستهلال:** استهل المنظومة بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم مَنْ تاهَ فيه نُهْيَةُ الحَكِيمِ.

وختمه بقوله: حَرَكَةُ الأظفارِ بالأوتارِ مَنْبَعُ جَرْيِ جُمْلَةِ الأوْطَارِ.

وتتلخّص أغراض هذا الاستهلال في الحرص على تحقيق شروط التلقي الواعي، وتحقيقها متوقّف على الاستيعاب القلبي للمعاني التي أوردها في هذه المنظومة، إذ التلقي القلبي مظنة تحصيل المقاصد واستجلاب ثمرة الإيمان الفردية والجماعية. لهذا تعلّق قلب الشيخ عبد الكريم المدرّس بها، فقال في مقدّمة شرحها:" شغفت بها حبًّا وأخذ منّي القلب واللّباب، وذلك لحسن أسلوبها في مقدّمتها ومطلوبها، **وجمعها لما في المقاصد من مهمات** العقائد واحتواء نكات لطيفة وفوائد منيفة، وأدلة قاطعة وبراهين ساطعة، **لا بدَّ منها لأهل التحقيق من الطالبين"**[2]

2- المضمون المعرفي للاستهلال وأبعاده التربوية:

المعرفة في هذه المنظومة المباركة لها أفق عملي، تتوخى تحقيق البُعْد التربوي الذي يمثّل لبّ العلم بل هو العلم نفسه، فالعلم هو أن تعمل بمقتضى ما علمت، لهذا حُلِّيَّت هذه المنظومة بالتنبيه إلى علم العمل.

أ- استهل بالبسملة اقتداء بكتاب الله وبما ورد في سنّة رسول الله(ﷺ)، مثنيا في عجز البيت على التذكير بحيرة عقل الحكيم عن الإحاطة بحقيقة الله، وهو تنبيه تربوي لمن هو دون الحكيم، ثم ذَكَّرَ في الأبيات التي بعدها بِنِعَم الله التي لا تحصى عدّا[3]، ومن ذلك تذكيره بعناية الله بالإنسان المستغرقة البدايات والوسط والنهايات، وكلّ ذلك من موجبات الشكر، ثم انتقل إلى التذكير المجمل بمقام سيّدنا رسول الله (ﷺ)، مهتبلا الفرصة لإبداء قدر محبّته للنبي عليه الصلاة والسلام، وهو في الوقت نفسه تذكير لقارئ (الفضيلة) بوجوب محبّة رسول الله (ﷺ).

ب- أقرّ في هذا الاستهلال بفضل الله عليه، وهو تذكير للقارئ والمستمع[4]، وأعلى تلك الأفضال وأغلاها تعريفنا بالنبي (ﷺ)[5]، فهي الشرف ويكفي بها شرفا لمن رام تحصيله، ولكن الشرف ليس بمعرفة النبي (ﷺ) فحسب، بل يتجلى في العمل بمقتضى ما أتانا به في جميع أحوالنا وأقوالنا وأفعالنا.

وتيسيرا للانخراط النفسي في الاستمداد عرّج (بعد الصلاة على النبي والتذكير بمقامه) على الإقرار بالقصور والتقصير في حق الله تعالى، والقصور في البشر طبع ملازم والتقصير كسب دائم منبثق عن ضعف البشر المنبئ بافتقارهم التام، وهو من أهمّ بواعث دفعهم إلى اللجوء إلى باب الله استشعارا منهم لهذا الافتقار[6]، وهو ما يخبر به الصباح القريب، ونحن نراه يوميا بل لحظيا، فلم يغادرنا التذكير الإلهي الدائم به، وهو المعنى المستفاد من أبيات المنظومة.[7]

ت- يسترسل الشيخ في إبداء الافتقار مذكرا بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم المُكْسِبَة القلب سلوانا، وعُمْدة تحقيق ذلك التبرّؤ من الحول والقوّة، وتمام اللجوء إلى الله سائلا الله تعالى الوسائل التي تحقق القصد، فكان من مقتضيات ذلك مدّ أكفّ الضراعة والابتهال بين يدي الله سبحانه وتعالى[8]، وأنفع الوسائل في التذكير مخاطبة النفس حقا وصدقا بالفعل لا برواية مخاطبات الصالحين لأنفسهم[9].

---

[1] – بلغ عدد أبيات هذا الاستهلال حوالي ستة من المئة، من الحجم الكلي للمنظومة.

[2] – الوسيلة في شرح "الفضيلة" في علم أصول الدين، للعلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقّب بالمولوي، الشيخ عبد الكريم المدرس، ص: 03.

[3] – قال تعالى:{ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيم} (النحل:18)،

[4] – قال(رحمه الله): وكان بي إلى الإله دائما تفضُّلاً بكلِّ نحوٍ قائِما

[5] – قال (رحمه الله): لا سيَّما بَعْثَ النبي المصطفى(ص) لو لم يكن سواه ذا لي قد كفى

[6] – قال (رحمه الله): وخُمِّرَتْ نفسي بأيدي آمَلٍ وَزَلَلٍ وخَلَلٍ وعِلَلِ.

[7] – ويزيد المسألة تأكيد قوله في الأبيات الموالية:

تكاسَلَتْ في السعي للسعادة ما انتهضتْ شوقًا إلى العبادة

في مركض الطول لذا أجول مُكَرِّرًا مويِّحًا، أقول:

موعُكِ الضبح أيس؟ بل غدا يَعْلوا صَدَا نِدَا بَداروا الغدا

[8] – قال الشيخ : محوقلا وسَائِلا وَسَائِلا مُبْتَهِلاً باسط كَفٍّ قائلا

[9] – قال الشيخ (رحمه الله):

ث- انتقل بعدها إلى بسط القول فيما رجاه بهذه الأرجوزة، إذ رام جعلها عونا على حفظ عهد الإيمان وصون الاعتقاد بالأدلة السليمة من الاعتراض، ثم ينصح من أعيته أدلة العقول وتفاصيلها بالالتماس مسالك التحصيل من رجل عارف "يدرك الأشياء بنور فطرته، أو نقال لما ينتخبه ببصيرته، فخذ واحفظ منه قولا يفيدك كمالا".[1]

وهو هنا من الداعين إلى الجمع بين مسلكي الاستدلال والكشف على أيدي الصالحين، فمن أعيته مباحث العقول، وكان عاقلا فعليه بصيدلية الصالحين، فإنّها له ملاذا، تُصْرَفُ فيها العلاجات النافعة المطهّرة من أدران التغوّلات العقلية، المجنونة بعنوان العقل[2].

ج- أورد الشيخ المولوي فذلكة تيسّر الدخول السلس إلى رحاب المنظومة (الفضيلة)، فعرض ما به يقرّب معانيها، ويذكر بمجمل مضامينها، تهيئة لأجواء الدخول إلى دوحة المنظومة، فكان منها ما يأتي: إمكاننا أساس الاعتراف بوجوب الله، وحدوثنا من قدمه اغترف، وهو في بصر الظاهر باطن، وفي بصيرة الباطن ظاهر، والتأكيد على فضل الله علينا، فله وحده فضل الفرار بنا من الخزي، فهو الذي قرّبنا من جنده وحزبه، أولئك الجند الذين قرّبهم واجتباهم ونحاهم عن التعلّق بغيره سبحانه وتعالى (السوى)، هم الأخيار الذين أخذوا من الينبوع الإلهي فزرعوا معانيه الندية في الكون، فكانت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أحسن تدريب للجمع بين الشريعة والحقيقة، وهي ضمان لمن رام الجمع بين الجناحين (الحقيقة والشريعة)، وأكمل الجامعين سيّد الخلق أجمعين (محمّد(ﷺ))، وعلى منوال هذا المسلك نسخ صحابته الكرام وأهل بيته الأطهار، ونحن على آثارهم نبني ونشيّد معارف العقيدة ببعدها العملي القلبي والعقلي والاجتماعي.

ح- عدّ منظومة الفضيلة استئنافا لمنهج الصالحين من أمتنا، ثم بدأ في وصفها، فذكر أنّها مضاءة بغرر الحقائق ضامنة لإرشاد الخلائق، وهي وسيلة الربط بالشريعة، والتمسّك بالحقيقة المنبثقة عن الطريقة، واستثمر الفرصة للتذكير بسنده الروحي، شيخ الهدى المجدد حضرة عثمان سراج الدين الخالدي المجددي. وأشار في هذه المنظومة إلى أنّه أُمِر من قبل سنده الروحي إلى كتابه هذه المنظومة المباركة[3].

خ- عرّف الشيخ بما تبناه في وضع منظومته ، فصرّح بأنّها على مشرب الأشاعرة رواد أهل السنة والجماعة. قال: **وقدوتي مع عذري استطاعة جماعةُ السنّة والجماعة.**[4]

ثانيا: المصطلحات التربوية في المنظومة:

منظومة الفضيلة غنية بالمصطلحات التربوية والتزكوية، بدءًا من عنوانها(الفضيلة)، وفضلا عن التجلي الظاهر في العنوان، فقد اشتملت على نمطين من الاصطلاحات التربوية، أوّلهما المصطلحات المفتاحية المفصلية في المنظومة، وأخرى مبثوثة في ثنايا التفاصيل، نحاول عرض القسمين فيما يأتي:

1- **المصطلحات المفتاحية المفصلية:** قسّم الشيخ المولوي منظومته إلى وحدات متجانسة، اصطنع لها عناوين، يستشف منها الاهتمام بالبُعْد التربوي.

أ- المنبع وبعده التربوي: المنبع مفرد جمعه المنابع، وقد وقع اختيار الشيخ على هذا المصطلح لأنّ المنبع مورد الضمآن[5]، فكان منتهى ما تتعلّق به الهمم جعل منظومته (الفضيلة) موردا للظمآن.

إلى متى تَخَلُّفي عَنْ قَوْمي؟ يُومي إلى نَوْمي آذانُ يَوْمي

فمرحبًا بالقائلين عَدْلاً وبالصلاَّةِ مرحبًا وأَهْلاً

[1] – الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم المدرّس، ص:13-14(بتصرف)

[2] – قال المولوي: وكلّ خاطر جرى ببالكا فربُّنا على خلاف ذلك. وقال أيضا: زَحْزِحْ عَنْ عَقْلِ الورى إلهُنا فمنتهى عقولِنا إلى هُنَا

وهو ما أعاد التذكير به في قوله: كلّ الورى في وصفه معتوه في فعله كما ترى معيوه. ومعيوه: أي مأووف بآفة الجهل. راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم المدرّس، ص: 21.

[3] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 29،31 قال رحمه الله: وصيه المستخلَفُ المجَدَّدُ شيخ الهدى نورى الورى محمّد. وقال أيضا: أمرني بنظمها وَحَالي تعلّلت عَن حَسن الامتثال

[4] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 40.

[5] – الوسيلة في شرح الفضيلة ، ص:41

ب- المشـــارع وبُعْـــده التربـــوي والتعليمـــي: المشـــرعة فـــي منظومـــة الفضـــيلة منبـــع ثـــرّ واســـع يجتمـــع المتعطشـــون حولـــه فـــي الغـــدو والـــرواح يشـــدون إليـــه الرحـــال فيـــه مـــلأ الأقـــدح مـــن زلال مائهـــا الصـــافي[1]، وولـــوج حـــدائق الأفـــراح التـــي تصـــنعها الشـــريعة، الشـــريعة التـــي ترمـــي إلـــى صـــلاح الإنســـان بتربيتـــه علـــى تعمـــيم المعـــروف، وهـــي المشـــار إليهـــا فـــي المنظومـــة بالمزرعـــة الناســـوتية، والطريـــق الـــرئيس لتحقيقهـــا هـــو ينبـــوع الأحكـــام الإلهيـــة، المســـماة فـــي هـــذه المنظومـــة بالمشـــرعة، وشـــاهدها قولـــه: **أخـــذْ مـــن مَشْرَعَةِ اللاهوتِ ثَجَّ على مزرعة النّاسوت**[2]

ج- الجفنـــة والبُعْـــدُ التربـــوي لتوظيفـــه: ورد فـــي معجـــم العـــين أنّ "الجَفْنَـــةُ التـــي للطعـــام، وجمعهـــا الجِفـــانُ"[3]، أمـــا فـــي الصـــحاح للجـــوهري، فقـــد وردت فـــي ســـياق بيـــان معنـــى صـــحف، والصَـــحْفَةُ كالقصـــعة[4]. واســـتعمل مصـــطلح الجفنـــة للدلالـــة علـــى أكـــل معنـــوي غنـــيّ بمـــا ينفـــع النـــاس فـــي غـــذائهم الروحي.[5]

ثالثا: الحقائق التربوية في منظومة الفضيلة.

1- **الانتساب إلى الطريقة النقشبندية:** ختم الشيخ المولوي الاستهلال بكلام أبدى فيه الاشتياق إلى حلقة أرباب الأذواق، وحفلة أصحاب الأشواق، الذين يصفو القلب في محافلهم عن الكدر، والقالب عن سوء الأثر لضربهم حينًا بالكف على الدف، وآخر بالأنامل على اليراع، ومرة بالأظفار على الأوتار، وأخرى ينشدون بذوات القوافي والأسجاع[6]، وهو بهذا الإقرار يعترف بأهميّة هذا المسلك في التربية والتسليك، وهو بهذا مشدود القلب إلى مجالس القوم، فهو منهم وبهم.

2- **شـــيوخه فـــي التربيـــة:** انتســـب الشـــيخ المولـــوي إلـــى المـــذهب الشـــافعي فـــي فقـــه الفـــروع، وإلـــى مـــذهب الأشـــاعرة فـــي الاعتقـــاد، كمـــا يقـــرّ بانتســـابه إلـــى الطريقـــة النقشـــبندية فـــي الســـلوك، وهـــذا الانتســـاب التربـــوي مفتـــاح أساســـي لتفســـير حـــرص الشـــيخ عبـــد الـــرحيم علـــى مـــذهب الماتريديـــة، إذ كثيـــر مـــن أقطـــاب الطريقـــة النقشـــبندية مـــن الأحنـــاف فقهـــا وماتريديـــة اعتقـــادا، شـــاهد ذلـــك قـــول أحـــد أســـاطينهم:" يقـــول العبـــد المفتقـــر المـــذنب المقصّـــر قلبـــا قالبـــا محمـــد ابـــن ســـليمان البغـــدادي وطنـــا الحنفـــي مـــذهبا الماتريدي معتقدا النقشبندي طريقة ومشربا"[7]

والدراســـات العلميـــة تؤكّـــد أن أغلـــب الحنفيـــة علـــى مـــذهب أبـــي منصـــور الماتريـــدي[8]، وشـــذّ بعضـــهم فكـــانوا معتزلـــة، كمـــا أنّ أغلـــب الشـــافعية علـــى مـــذهب أبـــي الحســـن الأشـــعري إلاّ مـــن شـــذّ فكـــان علـــى مـــذهب المعتزلـــة[9]، ولكـــنّ الحكـــم للأغلـــب، فكانـــت الطريقـــة النقشـــبندية بهـــذا جامعـــة بـــين جنـــاحي أهـــل السنة والجماعة.

مـــا ســـبقت الإشـــارة إليـــه ييسّـــر لنـــا فهـــم النقشـــبندية بوصـــفها خطـــا جامعـــا بـــين الأشـــعرية والماتريديـــة والشافعية والحنفية، وهو ما يفسّر عناية الشيخ المولوي بمذهبي الاعتقاد(الماتريدية، والأشاعرة).

---

[1] – راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم المدرّس، ص: 37(بتصرف).

[2] – الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم المدرّس، ص: 23.

[3] – كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 146/6.

[4] – الصحاح، الجوهري 384/4. راجع الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم المدرّس، ص: 37.

[5] – وهكذا الأمر بالنسبة لسائر المصطلحات: الغرفة، الوقر، المكيال، الجنة، الحبّة...

[6] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 40

[7] – الحديقـــة النديـــة في لطريقـــة النقشـــبندية والبهجـــة الخالديّـــة، قـــدّس الله أســـرارهم العليّـــة، البغـــدادي، طبـــع مـــع كتـــاب الســـعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، الخاني النقشبندي، ص: 27

[8] – قال البياضي:" الماتريدي مفصّل لمذهب الإمام (أبو حنيفة) وأصحابه المظهرين". إشارات المرام من عبارات الإمام، البياضي، ص:23

[9] – قـــال تاج الـــدين الســـبكي:" وهـــؤلاء الحنفيّـــة والشـــافعيّة والمالكيـــة وفضـــلاء الحنابلـــة –ولله الحمـــد– في العقائـــد يـــدٌ واحـــدة كلهـــم علـــى رأي أهـــل الســـنَّة والجماعـــة، يـــدينون الله تعـــالى بطريـــق شـــيخ الســـنّة أبي الحســـن الأشـــعري رحمـــه الله، لا يحيـــد عنهـــا إلَّا رَعَـــاع مـــن الحنفيـــة والشـــافعية، لحقـــوا بأهـــل الاعتـــزال، ورَعـــاع مـــن الحنابلـــة لحقـــوا بأهـــل التجســـيم، وبـــرَّأ الله المالكيـــة فلـــم نـــرَ مالكيًّـــا إلَّا أشعريًّا عقيدة " معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين السبكي ص: 62.

يؤيّـد المعـاني المقـررة أعـلاه مـا صـرّح بـه أقطـاب الطريقـة النقشـبندية مـن المشـربين الأشـعري اعتقـادا الشـافعي فقهـا، والماتريـدي اعتقـادا والحنفـي فـي فقـه فقهـا، ويسـتفاد هـذا الخـط مـن شـروط الانتسـاب إلـى الطريقة[1]، كما تفسّرها أيضا أصولها[2].

ذكـر الشـيخ انتسـابه إلـى الطريقـة العليّـة النقشـبندية فـي الجفنـة الثانيـة مـن المشـرعة الثالثـة بعـد جفنـة تفسـير الإحسـان، ووخصّصـها لبيـان أربـاب الإحسـان[3]، ومـنهم شـيخه فـي التربيـة والتعلـيم أحمـد النودشي.[4]

المطلب الثاني: المحاور التربوية في المنظومة وتجلياتها.

أولا: محور التربية الإيمانية على معرفة الله:

1- **التربية على الإيمان الذاتي:** لا يكون علم معارف الإيمان (علم الكلام) نافعا إلاّ إذا توفّرت فيه جملة من الشروط وضّحها الشيخ في سياق بيان أهمّ الأهداف التي يتوخّاها من الاشتغال بتحصيل العقائد الإسلامية[5].

ويزيـد المسـألة وضـوحا بالتأكيـد علـى تطلُّـب الجانـب العملـي مـن الاعتقـاد، ممـا يؤكّـد أنّ العقيـدة ليسـت معلومات جافة، بل أفقها بالمقام الأول العمل بمقتضى ما علمت[6].

2- **محور معرفة الله وصفاته:**

أ- **التربية على الالتفات إلى خطاب الحِب:**

- **اسـتهلال الالتفـات إلـى مخاطبـة المحـبِ:** وضـع الشـيخ أبياتـا اسـتهلالا لتيسـير الـدخول السـلس إلـى رحـاب مخاطبـة المحـبِ، فـربط بـين مـا سـبق تحقيـق القـول فيـه مـن ممهّـدات معرفيـة ومنهجيـة وبـين مـا

---

[1] - **شـروط الطريقـة النقشـبندية: الشـرط الأول: تصـحيح الاعتقـاد وهـو اعتقـاد مـا عليـه سـادات أهـل السـنّة والجماعـة الأشـعرية والماتريديـة** ثبّتنـا الله علـى اتّبـاعهم، وأثْبَتَنَـا في ديـوان أتبـاعهم. **والثـاني**: التوبـة النصـوح، وهـي هجـر المعاصـي كلّهـا ظاهرهـا وباطنهـا كبائرهـا وصـغائرها والعـزم المصـمم علـى عـدم العـود إليهـا، والنـدم الصـادق علـى مـا اقـترف منهـا، والتضـرّع إلى الله في العفـو عنهـا. **والثالـث**: العلـم بالسـنّة النبويـة والتمسّـك بالأحكـام الشـرعية كلّهـا والتـأدّب بآداب الـدين المطهّـر وذلـك باتّبـاع مـذهب أحـد الأئمـة الأربعـة العظـام والأخـذ بالأحـوط والعمـل بالمعتمـد في ذلـك المـذهب. **والرابـع**: اجتنـاب البدعـة الدنيـة أي التباعـد عـن الأقـوال والأفعـال والمعتقـدات الـتي أحـدثها أحـد الفـرق الضـالة، ولم يقررهـا علمـاء أحـد المـذاهب الأربعـة الأعلام.

[2] – **أصـول الطريقـة النقشـبندية: الأول**: صـحبة المريـد الصـادق للشـيخ الكامـل. و **الثـاني**: الرابطـة: مفادهـا ربـط القلـب بالشـيخ الكامـل الواصـل إلى مقـام المشـاهدة الإلهيـة المتصـرف بقـوة الولايـة المشـهود لـه بالكمـال مـن كُمَّـلِ الرجـال، و**الثالـث**: التـزام المريـد مـا يعلّمـه الشـيخ مـن الأذكـار، ويمكـن تلخيصـها فيمـا يأتي: – **ذكـر اسـم الـذات(الله)**، وهـذا لـه آداب يتعـيّن التحلـي بهـا أثنـاء الـذكر(جماعها طـاهرة الظـاهر والبـاطن والمكـان والجسـد، والقيـام بجملـة مـن الأعمـال الشـرعية، وعـددها اثنـين وعشـرين أدبا جمـا). **ذكـر النفـي والاثبـات**: ويـراد بهـا كلمـة التوحيـد(لا إلـه إلاّ الله)، ولهـا جملـة مـن الآداب، و**الرابـع**: **المراقبـة**: ومقتضـاه علـم المريـد وتحققـه باطّـلاع الله عليـه واسـتغراقه بمشـاهدة الحـق واسـتهلاكه بالحضـور الإلهـي وملازمـة القلـب لـذلك. راجـع في الشـروط والأصـول. (طبـع مـع كتـاب السـعادة الأبديـة فيمـا جـاء بـه النقشـنبدية، عبـد المجيـد الخـاني النقشبندي ص: 5-18.

[3] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص:67. قال رحمه الله: لا سيّما ساداتنا النقشيَّة الفِرْقَةِ الفَرْشِيَة العَرْشيّة

كانت لهم بالصادقين رابطة وهَفْوَةُ الهُفاةِ فيها هابِطَة

[4] – الشـيخ أحمـد النودشـي (ت1303هـ/1885م): أحمـد بـن عبـد الـرحمن النودشـي الهورمـاني، الفقيـه الشـافعي المميّـز، النحـوي، المرشـد علـى طريقـة النقشـبندية، كـان مـن أفقـه أهـل زمانـه بالمـذهب الشـافعي، تخـرّج علـى المـولى محمـد الخطـي في راونـدوز، كـان مفتيـا في السـليمانية، تفـرّغ فيهـا للتعلـيم والتربيـة والإفتـاء. علمـاء الكـورد وكردسـتان، صـالح شـيخو، ص: 78. أشار إليه في المنظومة ص: 61-62 بقوله: مَنْ مِنْ شَذاه كلّ عطر ينتشي حضرةُ مَوْلايَ الصَفِيِّ النودشي.

[5] – قال (رحمه الله) (الوسيلة، ص: 84): غايته الفوز بالسعادة من الأمور الخمس المستفادة

أوّلها: تخلُّصُ الجِنان مِنْ رَبَقَّة التقليد للإيقان

والثاني: أَنْ يُبدي جَنَاب المرشِد إرشادَه إعانة المسترشد

[6] – قال أيضا (الوسيلة، ص: 84-85): خامسها: صِحَّة الاعتقاد وصِحَّة كلِّ بادٍ

لحقها من معارف تمثّل لبّ النظم وأهم مقاصده، وكان الرابط المعرفي مساوقا للرابط الروحي، الذي يشدّه إلى شيخه الذي مثّل مدده[1]. يعتبر المولوي شيخه المرشد وسيلة فعّالة لإطراب النفس بما يسعدها، فهو قائد ألحان أهل العرفان، وقصد به في البيت المرشد بهاء الدين بن عثمان، الذي كان تأثيره فيه مزدوجا جلي وخفي، حيث أنّ ما صدر عنه من نغمة صادح بالتكبير، والشَرْبَة من يديه لها تمام التأثير الإيجابي، وهو ما حبّبه فيه ومتّن الرابطة به.[2]

ب- **اِلْتِفَاتٌ إلى خطاب الحِبّ:** تمثّل الأبيات ذات الصلة أعلى درجات التعبير عن الاشتياق إلى لقاء الحبيب، ومن شدّة الشوق طلب رهن نفسه في النغمة والرحيق، و ضاعف قوّة التعلّق بأبيات لاحقة، ذلك أنّها مدخل إلى الجنتين النافعتين في النشأتين، والمُعَبّر عنهما في النظم بالجنتين**(لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله)**، والقصد من الكلمتين اكتساب النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

إنّ من رام التحقّق بهذه المعاني يلزمه اختار متحقّق يقتفي آثاره، يكون موازيا له في الاستقامة، ناسجا وفق آثار وآثر تلك القامة، يداوم عليها حتى يبلغ رتبة المعانقة، ويتحرّر من سجن المفارقة، لأنّ من أُبْعِد عن خطّ القوم تاه وضاع، لهذا فالتزام طريق القوم يطلب المعرفة بهم وبمسلكهم وطلب التربية على أيديهم، ذلك أنّ الاقتباس من أنوارهم يكون من كلامهم وصمتهم وسمتهم ولحظهم، وحركتهم وسكونهم، بل كلّ أحوالهم وأفعالهم فضلا عن أقوالهم[3].

إنّ مَنْ وَفَقَهُ الله للانخراط في سلك العبودية وترقى إلى تجاوز لباس التمايز والمفارقة في البين والتشريد، فانجلت على عين قلبه حقيقة التوحيد، يفنى عن الخلائق بفنائه في الحبيب الفريد، وهذا هو الذي يزيل نقاب الاحتجاب عن ذلك الجناب، فذلك هو الفوز بجنّة الخُلْد الباقية[4].

وبلوغ هذه الرتبة عدّه الشيخ جنّة مأوى العاشقين الشهود على المحبوب، كأنّها جنة قبل الجنّة، إنّها جنّة قبلية يعيشها من ارتشف من رحيقها وعذب مائها، وجمال ما فيها من الأبعاد الروحية والمعنوية العظيمة، فمن أراد التمرّن على التعلّق بالمحبوب فعليه بطريق القوم وخاصّة عشّاقه.[5]

3- التربية على استشعار فضل الله على الإنسان:

يتعيّن على المسلم أن يربّي الأجيال على أن الله متفضّل - كرما وعطاء ووهبا وتفضّلا - بالإحسان إلى الإنسان، فالله رحمة منه بنا وفضلا منه علينا أرسل الأنبياء، وجعل في ذلك الإرسال ما لا يحصى من الحكم الجلية التي تراها العين المجرّدة، وأخرى خفيّة يشم بعضنا ريحها، ويرى جملة من أثرها أهل الطينة الصافية الوافية، وهي إشارة منه إلى أن في الناس من لا يشم تلك الروائح الزكية – على كثرتها- المبثوثة في الكائنات، ومن لا يرى الحكم الجلية فكيف بالخفية، ووظيفتنا هي التربية على ملاحظة الحِكَم الجلية والتنبيه إلى بعض الخفية والتذكير المستمر بها، لعلّها تثمر خلالا زكية وتصرّفات سنيَّة.[6]

إنّ بعثة الأنبياء رحمة مهداة من الله للعباد، وبهذه الرحمة تتحقّق مصالحهم في الدنيا والآخرة، فالإنسان يكون صالح الأحوال في العاجل والآجل بقدر الامتثال لما جاء به الأنبياء، فرسالة الأنبياء إنقاذ للإنسان – من كلّ الورطات التي وضع نفسه فيها بيده أو بيد أفراد من نوعه- بالإيمان بالله، الإيمان الذي بين جوانحه، وبقدر تحقّق هذا المشروع يكون تطلّب ثماره اليانعة في شعاب الحياة.[7]

---

[1] – قال الشيخ (رحمه الله)(الوسيلة، ص: 444-445): كلّ امرئ يرهن بالتحقيق فليكن الرهنُ على الرحيق
يقضبه المطربُ ذو الألحان بين يدي حضرة شيخ الجانّ

[2] – قال المولوي(الوسيلة، ص: 444-445): عنه وعن إيماء طرفٍ ساق باعث، لاقٍ، كاشفٍ عن ساق،
بنغمة إذ سُمِعَت كَبَّرَتِ وجُرْعَةٍ إذ شَرِبَت أثَّرَتِ
تلكَ عَلَى الحوادثاتِ أربعًا، تيك إلى تَعانُق الحِبّ معًا

[3] – قال الشيخ: لطالما كالخط ذي استقامة كنت موازيا لتلك القامة
خَلِّ يمل خطى إلى المعانقة كي ينتهي بُعْدُ مُدى المفارقة

[4] – قال الشيخ(الوسيلة، ص: 446): قدَّ قميص الميز والتشريد حتى انجلت حقيقة التوحيد

[5] – قال الشيخ (الوسيلة، ص: 446): فهل ترون غيرَ ذا التلاقي جنّة مأوى زمرةَ العُشَّاق؟.

[6] – شاهده(الوسيلة، ص: 687): بعْثَتُه للأنبياء والرسل من جهة الإحسان والتفضّل
لِحِكَمٍ جليَّة خفيّة يَشُمُّها ذو طينة صَفِيَّة

[7] – قال (رحمه الله) (الوسيلة، ص: 688): من تلكم الرَحمةُ للعباد مصلحة المعاش والمعاد.

إنّ طريق الأنبياء هو الضامن لتحقيق النجاح والفلاح في النشأتين (الدنيوية والأخروية)، فالحاجة إلى الأنبياء ماسة يتوقّف عليها صلاح وضع الاجتماع البشري في الدنيا، وفلاح الأفراد في الآخرة، والربط بينهما في تكامل عجيب، لا مطمع للعقل البشري في تحقيق إنسانية الإنسان إلاّ قدر العبودية الخالصة.

4- التربية على استشعار الإنسان أنّه ملك لله:

ذكر الشيخ في سياق بيانه لصفات الأنبياء عليهم السلام ما يستشف منه تربية المتلقي على ضرورة استشعار أنّه ملك لله تعالى، فالحكمة الإلهية اقتضت التذكير المستمر بهذه المملوكية، لأنّها رأس كلّ خير في الدنيا والآخرة، إذ بقدر انطباعها في النفس يُسْتَدَرُّ خير الإنسان للكائنات، وبقدر فقدها أو قلّة استشعارها يكون باعث فعل الشرور والامتناع عن بذل المعروف للنفس والخلائق.

إنّ نسبة العصيان والعتاب إلى النبي(عليه السلام) إنّها من قبيل ترك الأولى، ثم يختم الأبيات بأنّنا ملك لربّنا مولانا، فتلاحظ أنّه استثمر فرصة تفسير ما ينسب إلى الأنبياء (عليهم السلام) من معاصي على أنّه من قبيل ترك الأولى، فكانت الفرصة مواتية لتذكير كلّ المتلقين على أنّهم ملك لله ربّنا وليس لأحد أن يتقدّم بين يدي مالكه.[1]

واقتضت حكمة الله تعالى أنّ الذين يحبّهم الله تكون لهم رتبة خاصة ومقام خاص يتوافق مع منزلتهم عند الله، لهذا يتعيّن الحرص على نيل الرتبة بالاستعداد للتلقي عن الله وهو الطريق الضامن بالترقي في سُلَّم الأحوال والمقامات.

إنّ الفجار والأشرار غير الأبرار الحافظين للأسرار، فالفريق الثاني له من الصفات ما يجعلهم ينتظرون ميزانا أدقّ وأعلى في المؤاخذات، فتكون المباحات في حقهم ممنوعات، وتكون حسنات الأشرار الفجار معدودة في السيّئات الأبرار حفظة الأسرار[2].

5- التربية على التحصّن بالله:

أ- **مفهوم التحصّن بحصن الله عند الشيخ المولوي:** ذَكَّرَ الشيخ عبد الرحيم المسلمين عموما ومنهم عموم طلبة - وإن كان الخطاب للمشتغلين بتفهّم منظومته - بضرورة التحصُّن بحصن الله، وجعل هذا التوجيه موضوع المكيال التاسع من الصبرة الثامنة من الكلمة الثانية.

استهل الشيخ الأبيات بالتأكيد على أنّ التحصّن بحصن الله من أعزّ ما يطلب، وأغلى ما تتعلّق به الهمم، وتربط به الهمّة، ويترجم في المهام الحياتية، فهو رتبة الطوبى(فطوبى لمن)، أي من تحصّن بحصن الله فقد تهيّأ لنيل المقام السامق المعلوم والحالة المَرْضِيَّة، وعُمَدُ ما يحقق ذلك التحصّن بالإيمان والإسلام والإحسان، وبهذا يكون مفهوم التحصُّن عمليا، يترجم في حالات القلب وبذل السواعد في تفاصيل الحياة، وليس من قبيل الكلام النظري والادّعاء المجرّد، فلا بد أن يكون له شاهد من واقع حياة المتحصّن بحصن الله.

- إنّ التحصُّن اتّخاذ لما به تتم الوقاية من مهالك الدنيا والآخرة، فمن اتقى أخذ ما به يحقِّق اتّقاء الوقوع تحت طائلة المعاصي والذنوب، واتقّى كلّ ما يمكن أن يكون سببا في الإبعاد عن باب المحبوب سبحانه وتعالى، شاهد صدق التحصّن بحصن الله بذل الأنفاس طلبا لمرضاة الله تعالى، فيستغرق التحصُّنُ الأفعال والأقوال والأحوال الفردية والجماعية.[3]

ب- **لوازم التحصّن بحصن الله:** يتبيّن مما سلف أنّ التحصّن بحصن الله له موجبات ويترتّب عليه لوازم نبّه الشيخ إليها، وفي ذلك أجلى دليل على مسلكه المتجاوز للدرس الكلامي التقليدي، ذلك أنّ مصنفات العقيدة عنده خلو من الأبعاد التربوية، لهذا فالشيخ في مصنفه هذا خلاف معهود المتكلمين.

عدّ الشيخ التصديق بالله وصفاته، مدخلا ضروريا لبذل الحسنات، فبقدر المعرفة القلبية المنبثقة عن المعرفة العقلية البيّنة، يكون إقبال المسلم على جعل الحسنات برنامجا دائما مستمرا، إنّ التصديق بالله عند الشيخ ليس كلاما نظريا فحسب، بل هو عملي من أهمّ تجلياته بذل المعروف الخاص والعام للكلّ.

---

[1] - شاهد هـ المعاني قوله (الوسيلة، ص: 694-695): وذا الذي تراهُ في كتاب مِنْ نسبة العصيان والعتاب.
يُحْمَلُ ذا عَلى خلاف الأوْلى وربنا مالكُنا ومَولى.

[2] - يقرر هذه المعاني بقوله(الوسيلة، ص: 696): وحسنات فرقة الأبرار سيّئة الحُفّاظِ للأسرار.
وفي المعاتبة للأكابر حكمةُ زجر زمرة الأصاغر.

[3] - قال (رحمه الله): طوبى لمن بحصنّه تحصَّنوا فآمنوا فأسلموا فأحسنوا. الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 810.

والدليل على تطلّب تحقيق القصد من معرفة العقائد ربطه بين التصديق بالله وصفاته وبذل الحسنات، وأكّده بأنّ من آمن بأنّ الله سميع بصير، فليكن في حذر فيرقب أقواله وأفعاله وأحواله، لأنّ الثمرة المرتجاة من هذه المعرفة، هي استدامة استحضار هذه الصفات، وبها تطعّم النفس والقلب ضد المعاصي، وهي تطهير متجدد من الغفلات التي لا يسلم منها مسلم عاقل.

ومن أدرك قلبا بعد عقل أنّ الله موصوف بصفة العلم، يتعيّن أن يعزم على ترك التفكير في فعل الخطيئات فضلا عن مباشرتها على ملء من الناس، لأنّ من وقع تحت طائلة المعاصي، ملزم بمراجعة إيمانه بأنّ مصوف بصفة العلم، لأنّه لا يجتمع مع الإيمان الكامل[1] المستجمع لما أشرنا إليه من صفات.

6- استدعاء الاستعانة بالله تعالى في الكيل وحمل الأوقار:

أ-الاستعانة بالله تعالى الشاملة الكاملة: تميّزت منظومة "الفضيلة" بهيمنة الأبعاد التربوية عليها، فتكاد أن تكون سمتها العامة، وجملة الأبيات طافحة بهذه المعاني، وفي سياق ختام النظم يؤكّد الشيخ على أنّ ما يرفل فيه من نعم دنيوية وأخروية هي محض وهب إلهي، تجلى في قضاء حوائجنا المادية والمعنوية، فله الفضل أوّلا وآخرا، فهي ليست سوى فيوضات إلهية تكرّم بها الله على العبد الضعيف من غير حول ولا قوّة منه، وهي نِعَمٌ فوق الحصر، أولّها أنّه لولا فضله وكرمه لما كان له حظ من الإيمان والتعلّق بأكمله، إذْ النتائج منه وثمرة منه وحده، فلا تعويل إلاّ عليه[2].

المحور الثاني: البعد التربوي لمعرفة الوسيلة الكبرى (ﷺ)

1- التربية على التعامل مع المقام النبوي الكريم: استهل الكلمة(الجنّة) الثانية من الشهادتين (محمد رسول الله) بالتنبيه إلى أنّها كتابة عن ما يقتضي الإيمان القلبي والإشهاد اللساني[3].

ولأجل تربية المتلقي على استشعار مقام سيّدنا رسول الله الرحمة المهداة(ﷺ) تنبّه إلى مقام النبي (ﷺ)، والألفاظ المستعملة ثرية بالدلالة الصريحة على حرص على التأكيد هذه المعاني، منها لفظ سيّدنا، وذو الجاه، ومحمد المحمود عند الله وعند الكائنات، وهو الهادي، ورسول الله، وبالرغم من تعدّد السمات المذكورة في حقّه (ﷺ) فهي قاصرة عن الوفاء بالتعريف به تمام المعرفة، وهو بهذا عرّفه بأقل من ينفع في التنبيه إلى مقامه، وكذا سائر العلماء، فأكمل تعريف بالنبي تجده في كتاب الله وفيما صحّ من سنته (ﷺ).

وإشارات الشيخ في التعريف بمقام سيّدنا محمد (ﷺ) لها بُعْد تربوي عميق، غرضه أن تتعرّف الأجيال الحاضرة واللاحقة على سيّد وُلْد آدم محمد (ﷺ)، فهو الرحمة المهداة، هكذا وصفه رب العالمين في كتابه الكريم، قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**}[الأنبياء: 107]. والتذكير بذلك دائم ومستمر لا ينقطع في الحياة الدنيا، بل يعدُّ التذكير به بعث الحياة في الحياة، فترقى الحياة بهذه الوظيفة الشاملة لكلّ عناصر الحياة، إذ ليس للرحمة تجليات محدودة، إنّها شاملة وعناصر تجلياتها متكاملة، تخدم رحلتي الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة[4].

2- استدعاء الوسيلة الكبرى (ﷺ): أرجع الشيخ نيل المراد إلى حرصه على اتّخاذ الوسيلة الكبرى سيّدنا محمد (ﷺ) المسعفة على تحقيق القصد، فهي أنفذ وسيلة وأسرعها في تحقيق المراد التربوي بتدفُّقاته العالية، كيف لا يكون كذلك، وقد جعل الله رسوله رحمة للعالمين، فرحمة الله بنا من نتائج وصول أنوار النبي للعالمين، ومن رام تحقيق شيء من الرتب التربوية العليَّة فعليه بالوسيلة الكبرى، وفي ذلك توجيه إلى العناية بمعرفة مقام النبي (ﷺ)، والتحرّك بمقتضى هذا المقام الشريف. ذلك أنّ الحاجة إليه هي حاجة البشر إلى الأنموذج الأكمل الذي تستمد منه أرواح الناقصين استكمالها[5] النفسي والروحي بل وحتى العقلي.

---

[1] – شاهد هذه المعاني قوله(رحمه الله): (الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 811.)

والحسنات مِنْ لوازمات تصديقكم بالله والصّفات.

كونوا إنْ آمنتم بسَمْع وبَصَر في قولكم وفعلكم مع الحذر.

تصديقنا بصفة العلم معا عزم الخطيئات أَهَلْ اجتمعا.

[2] – شاهد هذه المعاني(الوسيلة، ص:811): فإنّنا يا قاضي الحوائج حقيقة الإيمان والنتائج.

[3] – قال (رحمه الله)(الوسيلة، ص: 686) نَوْبَةُ ذا المشهدِ، نعمَ المشهد، أمِن قلبا ولسانا اشهد. الوسيلة.

[4] – قال الشيخ (رحمه الله)(الوسيلة: ص:687): بأنّه سيّدنا ذو الجاه محمد هادٍ رسول الله.

يفادُ مما كان فيه يستتر أضعاف ما يكون منا يُسْتَطَر.

[5] – قال الشيخ عبد الرحيم(الوسيلة: ص: 812): فزت بهذا الكرم النبيل بالتفات حضرة النبي لي.

المحور الثالث: البعد التربوي للإحسان:

1- **تفسير الإحسان:** خصص لتفسير الإحسان الجفنة الأولى من المشرعة الثانية في التمهيدات وتوابعها، وتخصيص قسم مهما قلّ لتحقيق القول في الإحسان، دليل على الجمع بين طريقي الاستدلال والكشف في التربية.

سبقت الإشارة إلى أنّ استبعاد العناية بالبُعْد التربوي في درس علم الكلام عند الأشاعرة طابع عام، يتمّز عنه الشيخ المولوي باختيار أنموذج يقرب مما عرف به درس علم الكلام في الغرب الإسلامي، وهو بهذا ليس بدعا من القول أو المنهج، بل له سلف في هذا الأمر، فقد كتب وفق هذا المسلك سيدي أحمد بن الله الجزائري الزواوي (ت: 884ه) في منظومته الموسومة بـ"كفاية المريد" والمعروفة بالجزائرية واللامية، والتي شرحها تلميذه سيدي محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (ت: 895ه) في كتابه **"المنهج السديد في شرح كفاية المريد"**، فأخذ التعريف بالتصوف ومضامينه ومصطلحاته وثمرته من المنظومة حجما معتبرا[1]، إذ مثّل أكثر من عُشُر حجم النظم، فضلا عن الإشارات التربوية والتسليكية الواردة في سياق بيان مسائل الاعتقاد، ووفق منوال نفسه كتب سيدي أبو العباس أحمد بن زكري التلمساني (ت: 900ه)، وخصّص في منظومته الكبيرة الحجم العظيمة النفع الموسومة بـ" **محصّل المقاصد مما به تعتبر العقائد** " قسطا معتبرا للتعريف بالتصوف وتوابعه، بلغ نصف عشر النظم، هذا فضلا عن الإشارة التربوية والتسليكية الواردة في سياق عرض مسائل الاعتقاد.[2]

2- **تفسير الإحسان عند الشيخ عبد الرحيم:** كان الرجّل وقّافا عند عتبة نصوص الشريعة مستمدا منها التعريف والمفاهيم، وبهذا الصدد فسّر الإحسان بما ورد به الحديث الشريف" **أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراه"**[3]ويناسب التحقق بهذه المعاني أن تتنبّه إلى منن عطايا ربّ العالمين عليك، فتورّثُ خشوعا وخضوعًا ومراقبة في تجليات ذاته وكمال صفاته مستحضرا كأنّك الرائي له، جلّ وعلا، كأنّها إراءة بعين البصر، وهو موقف يطمع به المؤمن أن يرتقي بروحه إلى أعلى الملأ، فيكون من المقربين، ومن كان هذا شأنه كان وقّافا على قدم الأدب، وقوف العبد الذي انطبع في ضميره أن سيّده يراه.[4]

3- **أهمية الإحسان في التقعيد التربوي:** اشتغل الشيخ المولوي بالإحسان اشتغالا معرفيا يروم تأكيد استجلاب ثمرته، إذ ليس المقصود الإحسان لذاته، بل القصد بالمقام الأول التحلي به وذلك بمباشرة فعل الإحسان قلبا وقالبا، وهذا شرطه انطباعه في الضمير فيهيمن على بصر الإنسان وبصيرته وسائر الملكات والاستعدادات فضلا عن المُمَلَّكات.

جعل الشيخ حقيقة الإحسان القاعدة الرئيسة والضرورية لأهل العرفان، لهذا يمثّل التَحَقُّقُ بالإحسان المحطّة التي يتعيّن المرور بها لمن رام الترقي في سلّم أهل الله (الصوفية) [5].

المحور الرابع: البعد التربوي لنماذج أخلاقية في النظم:

1- **التنبيه إلى الأخلاق الرفيعة:** اهتبل الشيخ المولوي سياق بيان الفلسفة وتقسيمها عند المشتغلين بها من منتسبيها (الفلاسفة)، واقتبس من مسلك الذين قرّبوا الفلسفة من الجمهور[6].

وراجع المطالب العالية، فخر الدين الرازي، 8/107- 108.

[1] – عدد أبيات النظم (355بيتا)، وشغل التعريف بالتصوف من البيت (306) إلى آخر المنظومة (355) تقريبا. راجع المنهج السديد في شرح كفاية المريد (الزواوي الجزائري)، السنوسي، ص: 406- 584.

[2] – بلغ عدد أبياتها (1516بيتا). وشغل التعريف بالتصوف من البيت (1441) إلى آخر المنظومة (1516بيتا). راجع مختصر نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد(لابن زكري)، المنجور الفاسي، 2/1305-1356.

[3]– أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 50 واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث:9.

[4] – دليل هذه المعاني قوله في الجفنة الأولى من المشرعة الثالثة: (الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 66)

والفَسْرُ للإحسان يشبه بأن تعبُدَ ربَّ العالمين ذا المِنَنِ.

كأنّك الرائي له، جلّ علا، فتَعْتَلي إلى عُلى أعلى الملأ

إنْ لم يكن ذا الفيضُ إعتراكا فإنّه، عزَّ علا، يراكا.

[5] – المصدر نفسه. قال الشيخ: فهذه حقيقةُ الإحسان مَبنيُ قواعد ذوي العرفان.

[6] – قال(رحمه الله)(الوسيلة، ص: 423): وفَسَّر العمليّة بعلم ما كان إلى اختيارنا قد ينتمي

وذي لذى الأئمة الكرام كانت على ثلاثة أقسام

وجّه فيما نقله إلى التعرّف على الأخلاق والتحلّي بها، وهي قوله: **(تهذيب الأخلاق، وبعده فكُنْ)**، ثم بدأ بسرد التوجيه، فقال: **طالب الأوساط وذي الفضائل مجتنب الأطراف تي رذائل**[1]

ويشير في هذا البيت إلى الوسطية والاعتدال، إذ استمرار الحياة متوقّف على ديمومة الاعتدال والتوسّط في كلّ التصورات والتصرّفات، فبيّن بعضا من تلك الأخلاق المطلوبة، وهو تنبيه إلى التحلّي بالعفّة، والشجاعة، والحكمة،... والتحلي بهذه الوسطية المشار إليها في البيت المذكور آنفا.

والتوسّط والاعتدال ضامن بفضل الله دفع تطرّف التصوّر أو التصرّف، منها أنّ العفّة، والشجاعة، والحكمة، تطعيم ضد الخمود، والفجور، والجبن، والجربزة، والغباوة[2]، استثمر الشيخ السياق للإشارة إلى أهمية ما كَتَبَ القوم في الأخلاق، ووجّه إليها من أراد الاستزادة منها، وكان له شوق إلى تحصيلها[3].

2- **التجرّد من الحول والقوّة المعنوية والمادية:** استعمل الشيخ رحمه الله مصطلح الاستمداد أثناء الربط بين قسمين رئيسين من النظم، قسم المقدمات (وقد أشرنا إليه سابقا)، والقسم المتعلّق بأقطاب درس العقيدة، والمصطلح الذي أوردناه(الاستمداد)، صريح في التجرّد من الحول والقوّة المادية والمعنوية، والتصريح بهذا المفهوم يعدّ مدخلا لنصيحة النفس الأمّارة، وتطعيما لها ضد التغوُّل، لأنّ سياق عرض المقدّمات بهذه الدقة والتفصيل فيها قد يدفع للعجب وينتهي إلى الكبر، لهذا وجب تذكير النفس باللجوء إلى الله طمعا في التجرّد من الحول والقوّة، وهو في الوقت نفسه اعتراف بالعجز عن الوفاء بالمطلوب تحقيقه بهذه المنظومة، لأنّه مهما بذل من جهد سيكون أقلّ من إمكان بلوغ التمام والكمال، فطاقته مهما عَلَت ليست في مستوى التعريف الأكمل بهذه الحقائق، التي هي مدخل اكتساب لباس التقوى، لهذا قال في الربط بين البرزخين(الممهدات والأقطاب): "تحسّر واستمداد تارة وأخرى نصيحة للنفس الأمارة"[4]، فكان التحسّر باديا من إظهار العجز المنبثق عن القصور السنني، وكما قال الشيخ عبد الكريم المدرّس: "لما رأى طاقته دون أن تبلغ ذلك المقام الرفيع أخذ يتحسّر تارة ببيان عجزه وقصوره وغلبة الظلمة وانطفاء نوره واحتجاب حبيبه وعلو حضوره"، فكان مدعاة للاستمداد" تارة من جناب مرشده وشهاب نوره"[5]

وتضمنت الأبيات الإقرار بالعجز فضلا عن انعكاس الظلمة على النفس فأطفأت السراج، ثم يقر الشيخ أنّ عدد عُدَّته أقل من أن يحقّق بها المراد، فكان الوضع مناسبا لطلب المدد من سنده الروحي المشار إليه بقوله: شهاب الاهتداء مددا[6].

3- **الولاية ونيل رتبتها:** تكسب الولاية بأتمّ اتباع لما جاء به رسول الله (ﷺ)، فكلّ ادّعاء للولاية ليس في اتبّاع فهي دعوى باطلة، ذلك أنّ الولاية رشحة من فيض المعراج الحاصل لحضرة خاتم الأنبياء (ﷺ)، وهو رشّة على السر(القلب)، ومن كان هذا شأنه كان عارفا بذات الله وصفاته بقدر الإمكان، وعلامة هذه الرتبة المواظبة على الطاعات في السرّ والعلن، والإعراض التام عن

تدبير منزل، سياسة المدن، تهذيب الأخلاق، وبعده فكُنْ

[1] – المصدر نفسه.

[2] – قال (رحمه الله) (الوسيلة، ص: 423-424): أوساطها العفّة والشجاعة والحكمة، المجموع العدالة
أطرافها من غير ما تخليط توسم بالإفراط والتّفريط
قل إنّها كما هو المذكور للعفّة الخمود والفجور
تهوّر كالجبن للشجاعة، جربزة، غباوة للحكمة.

[3] – قرر المعنى بقوله (رحمه الله): (الوسيلة ص: 425): من كان للفروع ذا اشتياق عليه ما دُوِّنَ في الأخلاق.
ومن كلام القوم يستفاد إنْ كان للمزاج امتداد

[4] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 442.

[5] – شاهد هذه المعاني قوله(الوسيلة، ص: 441): ذلك احتجاب حِبِّ الوحدة وتلك سترة سحاب الكثرة
وهذه ظلمة الانعكاس وإنّني منطفئ النِّبْراس.
أفلست نفسي أفلست دائمة لنغمة وجرعة برائمة[5]؟
وسعرُ مُطْرِبٍ وساقٍ اغتلا لفوق طوقِ الاشتراء اعتلا
بَلَوتِ طالِعي وَ فَا الربيع، للرَهْنِ ماكرَ وفرَ بيعي

[6] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 443.

الانهماك في الشهوات النفسية ومطامع الدنيا الدنية[1]، ومن كَمُلَتْ فيه هذه الخلال كان أهلا للكرامة[2].

وليس المقصود من ذكر الولاية أن نربط الهمّة بها ونجعلها هدفا مرتجى من العبادة، بل ينبغي أنْ تكون الهمّة متعلّقة بالوفاء برتبة العبودية لله تعالى، والعارف بالله يكون مصروف الهمّة عن التعلّق بهذه الرتبة، فتحقق فيه من قصد منه، ذلك أنَّ طالبها الذي تعلّقت همّته بها كأنّه صار مخلصا لها لا الله، لهذا تظهر الولاية الحقّة على أهلها من غير طلبها ولا تعلّق بها، فهي ثمرة سُنَنِيَّة للعارف بالله والذي من متطلباته اقتفاء آثار رسول الله (ﷺ) في السرّ والعلن، وهذا توجيه للمتلقي على حصر همّته في الطاعة وربط مهمّته بها، وأهم مؤشراتها الاتباع التام المستوعب للباطن والظاهر، ومن داوم على ذلك فهو ولي من أولياء الله، وليس مشروطا في نيل الكرامة الولاية، فقد ينالها من لم ينل الولاية، ذلك أنّها محظ عطاء إلهي يظهره متى شاء وكيف ما شاء على أيد الباذل الطاعات التي هي مظنة نيل كرامة إلهية.

عبّر عن هذه المعاني في المكيال الثاني من الصبرة الخامسة من الجنّة الثانية ذات القطوف الدانية، والتي خصّصها لبيان فيوضات الأولياء الكرام، وأنوار أسرارهم المستفاضة من بحر نور النبي العربي (ﷺ) [3].

ويقرّر الشيخ معاني الارتباط الوثيق بين الكرامة والطاعة في سياق آخر، مما يجعله مصرّرا على تربية المتلقي على أنّ الطاعة نفسها كرامة، فلو حُرِمْنا كرم الله علينا ما سِرْنا ولا ثبتنا على طريق الطاعة، فالحرص كلّ الحرص على الطاعة ولا تربط همّتك بالكرامة، وأهمّ دليل على أنّ الكرامة الطاعة أنّها فيض من الهدي النبوي الشريف، ومن فقد انطباع مقام النبي في القلب ليس متّبعا، فيفقد أهليته للكرامة.[4]

والولي لا يدور بخلده أنّه اقترب من حياض النبوة، بل تؤكّد أحواله وأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته أنّه في كلّ تلك الأوضاع فيض من فيوضات النبي (ﷺ)، وله من ثبات فيها والقيمة والرتبة بقدر الاستنارة بالنبوة في السر والعلن، تزيد وتنقص بها، وتضيع بفقدها.[5]

وقد أبدع الشيخ بحُسْنَ ترتيب منظومته بما أورد في المكيال (السابع)، فقد ذكر نكتة ظريفة، تُعَدُّ تعليقا لطيفا على من أدّعى إسقاط التكاليف بالتربة الوَلائِيَة، فأكّد للمسلمين عامة أنّ التكليف لا يسقط عن الوضيع ولا عن الشريف، فهو مما يلزم المسلم البالغ العاقل بصرف النظر عن وضعه أو رتبته[6].

4- **قواعد في التربية على الأمر بالمعروف النهي عن المنكر:** يُعَدُّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم عوامل حركية الأمة والمجتمع، ذلك أنّها تمثّل تصحيحات دائمة ومراجعات مستمرة للتصرفات بقواعد مستفادة من الشريعة في نصوصها الصريحة، وبما أنّ من خصائص هذه الأمة الوفاء بهذه المهمّة لقوله تعالى:{**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**}[آل عمران: 110]، فقد تبنت مسلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوسّعت العناية بها فتقدّم في أدائها من لا يملك معرفة بالشريعة الضابطة لها، فكان من نتائجها أن أصبحت الآراء التي مبناها الاجتهاد منكرة لدى بعض العامة ومن لفّ لفّهم، مما يوجب بيان معلّقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي بيان ما يمكن أن يؤمر به

---

[1] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 745 – 746.

[2] – قال الشيخ (رحمه الله)(المصدر نفسه): فرشحة من هذا الارتقاء رشّ على أسرار الأولياء.
رتبتهم سنيّة عليّة كان لهم كرامة جليّة.

[3] – قال الشيخ(الوسيلة، ص: 745): وليس مشروطا بها(الكرامة) الولاية لذى ذوي الدراية والرواية.
تظهر ذي لهؤلاء السادة على طريقة انتقاض العادة

[4] – قال الشيخ عبد الرحيم المولوي (رحمه الله) في سياق تقرير هذه المعاني(الوسيلة، ص:747):
كلّ وليّ رشحة افاضا فمن هدة نبيّه استفاضا
كرامة تبدو لذا الوليّ معجزة لحضرة النبي
ولم يكن وليّنا وليًّا من غير أن يتابع النبيا
وأن يصون النفس عن خيانة ذا صفوة وقوّة الديانة

[5] – قال رحمه الله(الوسيلة، ص: 749): ولم يحم أحد الأولياء حول حمى رتب الأنبياء.

[6] – قال رحمه الله(الوسيلة، ص: 750):وما دنا وضيع أو شريف من حيث عنه يسقط التكليف

وما يمكن أن ينكر، فليس كلّ ما أنكره العامة ومن نسج على منوالهم منكر عند الله، وقد أحسن الشيخ بتقرير ما يتعلّق به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

ونفي الوجوب عن غير ما اقتضاه حكم الله سواء كان فعلا أو تركا، وهذا يوجب تربة للعامة على المبادرة إلى تعلّم أحكام الشريعة قبل المبادرة إلى الإنكار أو الأمر، وبالتعليم الشامل لعلمي الفروع (الفقه) والأصول (أصول الفقه) يكبح جماح الإنكار واقتحام العامة لما لا يحسنون فهمه فضلا عن اتّخاذ موقف منه، وقد وقعت مجتمعاتنا المعاصرة فريسة هذا الاقتحام الجنوني لفضاءات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غير موارد الإجماع، أي يتحرّكون إلى دفع ما يعتبرونه منكرا (اعتباري) بعنوان الوفاء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هكذا بهذا التعميم غير الواعي وغير العلمي، فكان من نتائجه شيوع الهرج والمرج بعنوان التديّن.

أحسن أحوال ما ينكره العامة لا يتعدى كونه دون الواجب أو الحرام، بل هو من قبيل ترك مندوب أو فعل مكروه، وهذه إن طُلِبَت ممن تأهّل لتحقيق مقاصدها فلا تزيد عن رتبة السنّة، فإذا تعيّن المتأهّل (للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)تعلّقت بذمته ولزمه دفع المنكر واستجلاب المعروف أو الدعوة إليه.

5- تصحيح بعض الفهم الخاطئ (لا تضرّكم):

مركزية المسألة التربوية دفعت الشيخ عبد الرحيم للتذكير بالبُعد التربوي تأصيلا أو تصحيحا لفهم خاطئ متوارث، فمن ذلك فهم بعض العام من قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة:105] إمكان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ المستفاد من الآية خلاف ما فهمه العامة وتعاملوا به، فلو فهم العامة الآية على أصلها ما سرّهم التفكير في تركه أو تسويغ تركه.

قال الشيخ عبد الكريم المدرس (رحمه الله):" لو تفهم الآية الشريفة أعني {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} حق الفهم إذا معناها هو أنّه لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم ووصلتم طريق نجاتكم، بأتيتم بما وجب أو استحب لكم وعليكم وتركتم ما كره أو حرّم عليكم. ومن الواجب والمستحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو معلوم لديكم، وكيف لا وقد قال (ﷺ)" والّذي نَفسي بيدِهِ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عنِ المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكُم عقابًا منهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ "[2]

6- التربية على الأخلاق الرفيعة:

تتجلى أيضا السمة التربوية لمتن "الفضيلة" في المكيال السابع من الصبرة الثامنة من الجنة الثانية (الكلمة الثانية من الشهادتين)، إذ أورد فيها توجيها رفيعا لترك بعض الخلال السيّئة، التي لها تأثير اجتماعي ونفسي جلي، منها تذكّر أنّ الله سبحانه وتعالى ستّار، وهذا يوجب ترك التجسّس، واستثمر السياق لتطعيم المتلقي ضد بعض أمراض القلوب، وهي الفَرَحُ بما آتاك الله، وأنْ تتعامل معها بغرور وبطر، كذا التحذير من أَمْن مكر الله لأنّه لا يأمن مكر إلاّ خاسر، قال تعالى: {**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**}[الأعراف:99]، كما حذر في الوقت نفسه من اليأس[3]، منبّهًا إلى أنّه من سمات الكافرين، قال تعالى:{**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ**}[يوسف: 87].

وخصّص المكيال الثامن من الصبرة الثامنة من الكلمة الثانية من الشهادتين (محمد رسول الله) لتوجيهات تربوية اجتماعية أساسها التربية القلبية والنفسية، وبهذا السياق نبّه إلى أهمية **التوبة** في التطعيم المتجدد ضد المعاصي، فهي ضرورة لمن رام تجسيد الدين في اللقب والنفس والتحلي به في شعاب الحياة، فالتوبة متجدّدة مُجَدِّدَة للصلة بالله.

تفرض طبيعة الإنسان - المعجونة عجنا بالتقصير والقصور الفطري المستند إلى ضعفه- المتنبُّهُ إلى افتقاره إلى مولاه، وهو بهذا العنوان مدعوٌ إلى معاجلة ما يقع منه من تقصير - لا حدود له - في العمل، تقصير يستمرئ به الوقوع تحت طائلة المعاصي والذنوب، واستدامة هذه الحال تمرض القلب، وتصيبه بِضَعْف يُرْديه عاجزا متواكلا ومتكاسلا عن النظر في العواقب، و رأس ما يدفع هذا الخلل إلزام النفس بالتوبة إلى الله وتجديدها، توبة لا تحقق مقصدها على الكمال إلاّ بكمال

---

[1] – قال رحمه الله(الوسيلة، ص: 806): ويتبعُ الأمرُ ونهيُ النّاهي لما به أمر المناهي
وجبَ في الواجب والحرامِ ولم يجب في سائر الأحكام

[2] – الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 808. أخرجه الترمذي في سننه، 468/4 رقم الحديث: 2169

[3] – قال (رحمه الله)(الوسيلة، ص: 808): والله ستّار فلا تجسسوا لا تفرحوا لا تأمنوا لا تيأسوا.

الطاعة وعقد النية على الاقلاع التام عن المعاصي، وإبداء الندم على ما وقع من الإنسان، والحسرة على ما فاته من الطاعات، وهذا لا يثمر ما لم يكن محلى بالإخلاص في السرّ والعلن، إخلاص له تجليات عامة شاملة، يطبع النفس بالطاعة ويطهّر القلب من الأدران، لهذا فهو توجيه مفاده: أقبل على الله تائبا من الذنب طامعا في قبوله منك، يقبل الله منك، فبقدر إقبالك على الله يكون إقبال الله عليك[1].

7- استدعاء المُذكّر والمربي الحافظ لمقام الوسيلة الكبرى:

تمام التعلّق بالوسيلة الكبرى (سيّد ولد آدم) (ﷺ)الموصلة لمقام العبودية في أتمّ صورتها وأكمل تطبيقاتها، يفرض التفتيش عن أنموذج مترجم لها في شعاب الحياة، فكان أن وقع الشيخ على اختيار شيخ قطب يأمر بما أمر به سيّد الورى (ﷺ)، فكان الارتباط به من جهّة كونه أبرز دلاّل على رسول الله(ﷺ)، فهو دليل عملي جمع بين العلم والعمل، فهو كالبيان التربوي لمقام الوسيلة الكبرى[2].

ويعتبر الشيخ نظم هذه الفرائد والفوائد المتجلية في نظم هذه العقائد محظ عطاء إلهي، وثمرة اتّخاذ الوسيلة الكبرى وشيخه الدلاّل العملي التطبيقي عليها[3].

كما يثني في سياق آخر على شيخه الروحي (رضي الله عنه) سيّدي عثمان، والمظهر لأنوار والده الماجد الأمجد وصيّه المستخلف الشيخ بهاء الدين محمد، ويختم البيت بالدعاء لشيخه برضى الله تعالى على روحه المطهّرة[4].

8- التلطّف مع المخالف:

يغلب على نظم الشيخ التلطّف مع المخالف، يتجلى هذا المسلك في مواقفه من المخالف الكلامي أو التربوي، ولعلّ الموقف من أولياء الله الصالحين نفيا أو إثباتا يُعَدُّ من أهمّ القضايا التي كان لها حظ وافر من النقاش في البيئة الإسلامية المعاصرة، وذلك لتعلّقها بالسلطة الروحية المعنوية على قلوب كثير من المسلمين، وبالرغم من أنّ الشدّة مع المخالف كانت السمة العامة للنقاش الدائر في المسألة، فإنّ الشيخ مال عن هذا المسلك، وأسس توجيهه على التلطّف والنظر بشفقة إلى المخالف. قال(رحمه الله)[5]:

منكر أوليائنا معذورُ من لم يذق لم يدر أو مَأزورُ.

تلاحظ أنّه التمس العذر لمنكر الأولياء، وقوله بهذا صريح (**منكر أوليائنا معذورُ**)، ثم انتقل إلى تفسير هذا الموقف، فأرجعه أولا إلى أنّ المنكر لم يتذوّق حقيقة ما عليه القوم، أي أنّم لا يملك الخبرة التي تخوّل لهم على فهم ما يتداول، ذلك أنّ الفهم أساس التماس العذر، ونظرا لمعرفة الشيخ بحال المنكر معرفيا التمس العذر بناء على إحاطته بأسباب هذا الإنكار، لهذا قال الشيخ: (**من لم يذق لم يدر أو مَأزورُ.**)، كما تلاحظ انّه لم يهمل حال المنكر مع الإصرار على الخطأ؛ وهو واقع في أمتنا، ذلك أنّ منّا من يريد أن يفهم الرأي المخالف وفق ما يحلو له لا وفق ما قرّرته أدلة المنتقد.

المبحث الثالث: الأبعاد التربوية في المنظومة وتجلياتها.

المطلب الأول: البعد المعرفي.

أولا: البعد المعرفي العام:

يتمثّل البُعْد المعرفي لمنظومة الفضيلة في إحياء الفكر الكلامي الأشعري، وبعث العناية به، فقد اختار الشيخ طريقة النظم لِيُسْر تلقيه وحفظه ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وقد اتّسمت طريقة عرض مادة المنظومة (الفضيلة) بما عرفت به المدرسة الفقهية الشافعية والمتفاعلة تربويا مع المدرسة الحنفية المجاورة لها، فكان عرض الدرس مراعيا للمذهب الكلامي المنبثق عن الشافعة والحنفية، فكان العرض معرّفا جمع في العرض العام بين المشربين الأشعري والماتريدي، إلاّ أنّ عنايته

---

[1] – قال الشيخ عبد الرحيم (رحمه الله)(الوسيلة، ص: 809): وعالجوا الخروقَ والجروحَا توبوا إليه توبة نصوحا.
فإنّها واجبة علينا وأمرُهُ موجَّه إلينا.
هَدى إليها بِسَنا إرشاده يقبلها فضلا على عباده.

[2] – ينتظم شاهدا قوله(رحمه الله)(الوسيلة، ص: 812): إذْ شيخنا قطب الزمان آمرًا مطابقا أمر سيِّد الورى.

[3] – دليل ذلك قوله(لمصدر نفسه): بنظمنا لهذه العقائد نثرا لما فيها من الفوائد.

[4] – قال رحمه الله (الوسيلة، ص: 813): ومن فيوضات جناب المظهر راحُ الرِضى لروحه المطهّر.

[5] - المصدر نفسه: ص: 812.

بالمذهب الأشعري كانت تأصيلية تنصر المذهب، وتدفع الرأي المخالف له، كما تضمّن التنبيه إلى الاختلاف في الأسس المعرفية والمنهجية مع السادة الماتريدية ومن تأثر بهم في المذهب الأشعري، كما انتقد بعض المخالفين من المعتزلة والفلاسفة.

كانت جهود الشيخ عبد الرحيم منصبّة على نصرة الأشاعرة بتيسير استيعاب أدلتها على مباحث الاعتقاد، واستصحب في عرض المضامين العلمية لعلم الكلام في المنظومة الجمع بين المذهبين الكلاميين برافديهما قدر الطاقة البشرية، مركّزا في كلّ ذلك على الرابط الوثيق الذين بينهما في البيئة المحلية والجوار الثقافي، إذ يجمع بينهما الانتساب الصريح للسادة النقشبندية، والتي تمثّل المشترك التربوي، ولطبيعته السلوكية والتسليكية كان له كبير الأثر على العلاقات بين المنتسبين إليه وإن اختلفت مذاهبهم الكلامية والفقهية، فكان صدق الانتماء إليه وسيلة فعّالة للعيش في واحة الأخوّة الإيمانية الجامعة، كان الانتساب إلى هذه الطريقة من أهمّ عناصر تلطيف الجو الاجتماعي والثقافي والتربوي بينهما، فكان الانتماء التربوي وسيلة جمع وعنصر بعث الفعالية الإيمانية في شعاب الحياة.

استعمل الله تعالى الشيخ عبد الرحيم المولوي بمنظومة الفضيلة لإحياء العناية بعلم الكلام معرفة واستدلالا، فكان النظم باعثا على التمكين للمذهب الأشعري في البلاد الكردية، ولهذا تعدّ همزة وصلة بين سالف أيامنا المعرفية الغالية وحاضرنا، تأسيسا لغد أرغد من الناحية المعرفية والاجتماعية.

كانت جهود الشيخ في قرن كادت أن تجفّ منابع تعليم علوم الشريعة، ولا سيما علم الكلام، فكان هذا الجهد همزة وصل، وتذكير بما في ماضينا المعرفي من جواهر حَرِيَة ببعث العناية بها حاضرا وقابلا.

كانت جهود المولوي عبد الرحيم تطعيما معرفيا للمجتمع ضد الأوبئة المعرفية والرؤى الفكرية والفلسفية والدينية المخالفة التي أريد نشرها في البيئات الإسلامية بصفة عامة، وقد أتى جهد الشيخ أكله، فلم ينقطع سند تعليم علم الكلام عند المسلمين في البيئة الكردية، وشواهد ذلك أكبر من أن تحصى، فقد تصدّر لشرح هذا النظم، وارث هذا العلم وناشره في هذه البيئة الشيخ عبد الكريم المدرس، فهو أيضا من أسانيد وصل الحاضر بالماضي التليد.

ثانيا: البعد الضابط للتصور والتصرّف.

إنّ من أهمّ ما تفرّغ له الشيخ المولوي عبد الرحيم هو الاهتمام بالتعليم الشامل والمتكامل لمعارف علوم الشريعة في الفضاء الكردي، فلم تكن العناية بفقه الفروع فحسب، ولا العناية بالعرض المفصول لمعارف علم الكلام، ولا الاقتصار على التربية الباطنية على مشرب السادة النقشبندية، بل آثر أن يكون العرض شاملا ومتكاملا، فلا فصل بين المعارف، بل يتعيّن الوصل، من هنا لا تخلو دروس علم الكلام من التوجيه التربوي الراشد، ولا يخلو عرض مباحث علم الكلام من التوجيه التربوي المفضي إلى إحياء استجلاب ثمرتها العملية المنتظرة في شعاب الحياة، فضلا عن التركيز الكبير على فحص مقدّمات المعرفة الكلامية، فتحقيق القول فيها، رفع من قيمة العقل، والتأكيد على أنّه من أهمّ ما يُتَعَبَّد به الله، وأنّه من لا عقل له لا تكليف عليه، من هنا كانت المقدّمات الكلامية في المنظومة ضرورة معرفية تيسّر المحاكمات العقلية للمعارف الواردة سواء كانت منقولة أو مبرهن عليها، التزاما بالقاعدة المنهجية الصارمة:" إن كنت نقلا في الصحّة، وإن كنت مدّعيا فالدليل".

أكّدت المنظومة أنّ صلاح التصرّفات مبني على صلاح التصوّرات وما يترتّب عليها من تصديقات، ولهذا يتعيّن التثبّت في النقل والفهم والمحاكمة العقلية، ولكن الاكتفاء بالفحص والتمحيص العقليين قد يفضي إلى نتائج غير محمودة، لهذا يتعيّن معرفة وجهة تحصيل المعرفة ومقصدها، ولا ضامن لهذا بغير التربية السلوكية، وأنفع طريقة في تحقيق ذلك الارتباط بالشيخ السالك الذي يستنير بأنوار النبوّة لأنه من الداعين إلى إحياء بذل المعروف العام وفق القواعد التي جاءت به السنّة المطهّرة على يد الأنموذج الأكمل سيّد الخلق أجمعين.

إن الفقه الظاهر وإن كان مهمّا، وهو من مقتضيات الإسلام، إذ إهماله يحلق الدين، كما أنّ الدين متوقّف على معارف الإيمان، ولكن الصيغة التي تعرض بها تجعلها أشبه بمعادلات جافة لا تحرّك قلبا ولا تبعث فعالية إيمانية في شعاب الحياة، فكان لزاما التذكير بأنّ الإسلام الخالي من العنصر الباطني لا قيمة له، إذ الامتثال الخالي من العنصر الجواني حركات جوفاء لا قيمة لها، كما أن الإيمان الخلو من العنصر الباطني يصبح مجرّد معارف صرف يتباهى بها في المجالس وتطلب بها الغلبة على مخالف، ولا يطلب بها الغلبة على النفس ونوازعها، ولا يختلف عنه هوس إشباع مطالب الروح مع إهمال الشريعة (الإسلام) والإيمان (العقيدة)، لهذا يتعيّن استرجاع العناية الشاملة المتكاملة في عرض التعريف بالدين وتعليمه، ومنظومة الفضيلة أحسن ممثّل للوصل بين

معارف الشريعة في شكل متكامل شامل، إنّها عرض جامع بين العقل والقلب والسواعد، يهتم بالدنيا كاهتمامه بالآخرة، له عناية بكلّ أبعاد الفعل الإنساني، فيستوعب الفعل الفردي بِبُعْده الجماعي.

المطلب الثاني: البعد المنهجي:

أولا: البعد المنهجي للعرض التربوي لهندسة التأليف:

1 - **البعد المنهجي لمباحث التربية في المنظومة:** اتّسمت منظومة (الفضيلة) بتشرّب صاحبها للروح المعرفية الأشعرية، فقد بدت المنظومة أشعرية خالصة، اعتمد مسلكهم في ترتيب العقائد وإبداء ما فيها من فوائد، وتجلّت الاستفادة المنهجية في تفاصيلها.

يمثّل مسلك الشيخ جمعا واعيا بين دلالات الكتاب والسنة وما جادت به العقول الحَرية بهذا الاسم (العقل العقل، وليس الجنون)، فكانت اختياراته الكلامية انتخابية في القلعة الأشعرية، طبعت منجزه المنظوم، ولكنّه ليس جهدا مستنسخا، بل له مناحي تميّز، منها اصطلاحات التبويب، فهي طريقة خاصة به، وقبل عرض البُعْد المنهجي للعرض العام للعقائد ومقدماتها المعرفية، يحسن التوقّف عند استهلال المنظومة(استغرق نصف عشرها تقريبا)، وهو استهلال تربوي له بُعْدٌ منهجي جلي.

1- تفنّن الأستاذ عبد الرحيم في وضع الأقسام الكبرى لمنظومته، فخصص القسم الأول لاستهلال وظيفي من الناحيتين المعرفية والمنهجية، وضمّن القسم الثاني، ما يتوقّف عليه الاستدلال من معارف منهجية والأمور العامة، وهي التي سماها منابع تفرّعت عنها مشارع، أما القسم الثالث فهو الذي خصّصه للعقائد نفسها والتي سماها جنتي السعادة في النشأتين، ولهذا التقسيم المرتضى بُعْدُ منهجي ظاهر، نبيّنها في عرض الاستهلال.

2- إنّ التمييز بين الأقسام الثلاثة(الاستهلال/المقدمات/العقائد) يرسّخ في عقل المتلقي قاعدة منهجية أساسية، مفادها أنّ القسم الأول تذكير بالانخراط القلبي في رحاب التعرّف على العقائد، وهو تأكيد على أنّ ولوج العقائد من غير انبثاقه عن عنصر باطني، لا ترجى منه فوائد، لا يعدو أن يكون معارف للتهارش والتحريش، ينتهي إلى تضييع الأعمار فيما لا طائل منه، ولو لم يكن في الاستهلال إلاّ التنبيه على العنصر الباطني وأهميته لكان كافيا.

3- القسم الثاني الذي تضمّن التعريف بعلم الكلام، وما يتوقّف عليه إقامة الدليل، ضمّنه التعريف بالعلم وأقسامه والدليل وأشكاله وسائر المباحث، وهذا له وظيفة منهجية ظاهره، إذ بها التأكيد على أنّ هذه وسائل معرفية تراجع باستمرار ويُتَبَنَى فيها الصحيح الميسّر النافع مما جادت به عقول الخلق، وهذا الانفتاح المعرفي شاهد على أنّ هذه القسم نامي من الناحيتين المعرفية والمنهجية، ففي العناية به تربية للجيل على تحصيل أحسن ما يستثمرونه في الاستدلال على صحّة عقائدهم، فلا نبقى أسرى ما سلف في مجال المقدّمات، بل نفحصها ونمحّصها ونراجعها باستمرار وفق ما يحقق الاستدلال على العقائد الإسلامية ويقيم أركانها في النفوس عبر العصور.

4- القسم الثالث والذي يمثّل العقائد في المنظومة، وهي اللب المعرفي لعلم الكلام، وفيه تأكيد أهميته في إصلاح الاعتقاد، وأنّه القصد الرئيس من الأدلة والاستدلال، فالعقائد هي الثمرة العلمية، ولكن هذه الثمرة تتطلّب إشغال الهمّة وفاء بمهمّة الثمرة العملية للعقائد، فهي القصد بالمقام الأول، وتأكيد الشيخ على ثمرة معرفة الله وصفاته، وثمرة معرفة الوسيلة العظمى (سيّدنا رسول الله ﷺ)، تربية عملية للجيل في الحاضر والقابل على العناية بثمرة العقائد إذ هي عصارة الفوائد المطلوبة.

5- إنّ الترتيب الذي ارتضاه الشيخ في عرض المنظومة وإن سرت فيه الروح الأشعرية، فإنّه امتاز عن الدرس الكلامي المحافظ (التقليدي) بلفت الانتباه إلى الثمرة العملية من معرفة العقائد، كما تميّزت أيضا بالاستهلال الذي كان مداره الإحسان والتعريف بأربابه، فضلا عن ما يتوقّف عليه صلاح القلب لتلقي العقائد وطلب ثمراتها، ولا شكّ أنّ هذا الاختيار المنهجي ثمرة زكية لتشرّب الشيخ المولوي الطريق الصوفي، فكانت العقائد في المنظومة ضامنة للتنبيه إلى مقاصدها العلمية، وصناعة وعي بثمرتها العملية.

ثانيا: البُعدُ المنهجي لاستهلال المنظومة وامتداداته التربوية:

1- **البعد المنهجي للاستهلال تربويا:** البشر وهم يباشرون الاستدلال يتغوّلون بعقولهم، نتيجة نسيان أو تناسي أنّ العقل ملك الله سبحانه وتعالى، وتطلّب تفعيله وفق الشروط المنتجة لا يكون إلاّ بتوفيق من الله، والخلوص إلى النتائج نفسها ليس إلاّ وهبا إلهيا، فمن نسي هذه المعاني حين مباشرة الاستدلال، فَقَدْ فَقَدَ استشعار أنّه وعقله ملك لمولاه، ومن كان هذا شأنه ينسى التحصُّن بالله وتجديد التحصّن باستمرار.

كان الاستهلال غنيا بالتنبيه إلى التحصّن بالله وأنّ الإنسان ملك مولاه سبحانه وتعالى، وهذه المعاني ذات بُعْد منهجي ممتياز، تذكّر الناظر أنّه وفكره ملك لله، ويتعيّن للحفاظ على العقل والطمع

في ثمرته التَحَصُّن بالمولى عزّ وجلّ[1]، يتحصّن به في ضد الإفراط في العقل أو التفريط فيه، والإفراط في العقل والتفريط فيه، هي أهم عوامل تضييع الأبعاد المنهجية والوظيفية للمعرفة.

2- **البُعْدُ المنهجي للمضامين المعرفية للاستهلال**: يُعَدُّ هذا الاستهلال محاولة جادة للجمع بين الدرس الكلامي وأبعاده التربوية، وهذا الأمر ليس غريبا من شخصية جمعت بين المسلكين الكلامي والعرفاني، فقد كان الشيخ المولوي، شافعي الفروع ، وأشعري العقيدة، ونقشبندي التربية والسلوك والتسليك، وهو ما طُبِعت به المنظومة، ولا سيما الاستهلال، خصَّص للاستهلال ثلاث مشارع، حوت في مجموعها تسع جفان، غنية بأعزّ ما يطلب، فكان منها الأمر بالعبادة وبيان حقيقة الإيمان ورتبه، والأصل أن هذه المباحث ليست مما يستهل به التأليف الكلامي، وتناول بالبيان الكشف عن النسبة بين الإيمان والإسلام. وعرض البيان النبوي للصلة بوجهين متغايرين، انتقل بعدها تفسير الإحسان، والتعريف بأفذاذه، ثم الموازنة بين الكشف والاستدلال، وختم ببيان أقسام الكفار.

وضع استهلال بهذه الطريقة دليل جلي على أنّ التحلي بمقاصد العقائد أساس طلب معرفتها، لهذا كان الاستهلال بمثابة تهيئة الظروف العقلية والقلبية لتلقي العقائد بأبعادها الوظيفية.

ثالثا: البُعْدُ المنهجي للمقدّمات المعرفية وامتداداته التربوية:

1- لم يورد علماؤنا - ومنهم الشيخ عبد الرحيم- المقدّمات المعرفية في درس علم الكلام لتزيين المصنفات أو الاستعراض، بل قدّمت لأنّها مما لا يتم واجب الاستدلال إلا بها، الاستدلال في الزمان والمكان وليس استدلالا في المطلق، فهي مقدّمات وجود الاستدلال على العقائد في التاريخ. لأنّه شرط أساسي في إقامة الدليل، إذ تتضمّن معرفة مباني الدليل وفق أساليب المتكلمين وأهل العرفان، فحوت هذه المعارف ما يحتاجه المستدل والمرشد لمعرفة العقائد، وهي تربية عملية للمتلقي على معرفة ما يكون مظنة إقامة الدليل.

2- خصّص لعرض هذه المقدّمات المعرفية (الممهدات) خمسة مشارع، أكّد في المستهل أنّ حقائق الأشياء ثابتة دفعا للسفسطة القديمة والجديدة أو المتجددة، وهذا اختيار موافق لاستفتاح جملة السادة الماتريدية في عرض مسائل الاعتقاد[2]، ثم عرَّف علم الكلام، وثلّث بالإجابة عن سؤال: هل يحدُّ العلم؟ ثم انتقل إلى بيان تقسيمه، ثم توقّف مليا عند الكليات الخمس، فتصديق القضايا، وعرض بعدها الضروري والنظري في التصور والتصديق، ثم في النظر وإفادته العلم بالمجهول، ثم التأكيد على وجوب النظر لمعرفة الله عند السادة الأشاعرة.

ثم بيّن أسباب العلم، والدليل وأقسامه، ثم الأحكام العقلية، وحقّق القول في تصور الوجود وتقسيمه، والماهية، والتعيّن، ثم أمور هامة، القدم والحدوث، والوحدة والكثرة، والعلة والمعلول، فالقوى الجسمانية بين التناهي وعدمه، ثم الدور والتسلسل، انتقل بعدها إلى مسائل تبحث في الأعراض، والكم، والكيف، والأين، والإضافة، والمقولات الخمس. ثم تقسيم الجوهر، فتعريف الجسم وانقساماته، وعرض نقد مذهب الفلاسفة في المسألة، انتقل بعدها إلى تداخل الجواهر، فحدوث العالم، وتقسيم الجسم سيط ومركب، ثم المجردات، وأنّ المدرِك للجزئي النفس، ثم عرض غرائب أفعال النفس، ثم أجاب عن السؤال الآتي: هل لغير الإنسان النفس المدركة؟، وختم بقوة النفس، فمناقشة حجة الفلاسفة على إثبات العقل، ثم أحوال العقل، وختم بالمَلَك والجن والشياطين، وكلّ ما سبقت الإشارة إليه له بعد التربوي تعليمي بأفق منهجي، مفاده لا ولوج إلى ميدان الاستدلال من غير عدّة معرفية ذات افق منهجي، يعدُّ تحصيلها مظنة بلوغ المراد الاستدلال والمرافعة عن العقائد ودفع الشبه.

ثالثا: البُعْدُ المنهجي للعقائد وامتداداته التربوية (الأقطاب عند الغزالي):

1- تمثّل العقائد صلب المضمون الكلامي في المنظومة (القسم الثالث)، والموسوم في النظم بالكلمتين، ويقصد به الشهادتين(أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله)(ﷺ)، خصص الأولى (لا إله إلا الله) لبيان موضوع معرفة الله وصفاته الواجبة والممكنة والمستحيلة، وراعى فيه الترتيب الأشعري المؤسس على تبني عشرين صفة لله. والإشارات التربوية في باب العقائد تنبيه تعليمي تربوي بأفق منهجي على فوائد العقائد.

---

[1] - راجع: علاقة التربية الفكرية بمعارف الإيمان، عمار جيدل، الفصل الرابع، التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود(كتاب جماعي)، ص: 151.

[2]- راجع التمهيد في أصول الدين، أو التمهيد لقواعد التوحيد، النسفي الحنفي، ص: 16. راجع أصول الدين، البزدوي، ص: 17.

2- النقل عن أساطين المذهب بدءًا من شيخ المذهب أبي الحسن الأشعري، وانتهاء بآخر المجددين في الدرس العقدي العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي[1]، وجلال الدواني، ... فقد احتفل الشيخ بالنقل في منظومته عن عُمَد المذهب في مختلف حقبه، وهو دليل على أنّ الدرس الأشعري استئنافي عبر العصور، وفيه تربية وتعليم النشأ على العناية بالخبرة المعرفية لأسلافهم، والاستفادة منها في تأكيد النسب الإيماني معرفيا ومنهجيا، والتأكيد على أهمية عناصره في البعث الحضاري المنشود.

3- يلاحظ دارس المنظومة أن الشيخ ثمّن مسالك المتكلمين القائم على الدليل (الإنّي)، وهو استدلال متصاعد ينتقل من الخلق إلى الاستدلال على الحق سبحانه وتعالى، كما يثمّن الدليل (اللمي) الذي تبناه أهل العرفان، وهو استدلال متنازل يعرف بالحق سبحانه وتعالى الخلق، فالثاني وإن كان أضمن لطريق التحصيل والتحصين، إلاّ أن الأول يفيد الجمهور العريض من الخلق، ويسعفهم للترقي إلى الدليل العرفاني.

4- قسّم موضوع العقائد إلى كلمتين رئيسين، كلاهما جنّة، للدلالة على أنّهما المبتغى من درس العقائد، فالجنة هي أعزّ ما تبذل له المُهَجُ، قسّم أولاهما(لا إله إلاّ الله) بطريقة الأشاعرة، وعرض مادتها في خمس صبرات، وضمّن الصبرة أوقارا، فسرد فيها صفات الله، وثبوت الصفات العشرين لله، ثم الصفات السلبية، فالصفات الثبوتية السبع، ثم بقية الصفات، فالصفات المعنوية، انتقل بعدها إلى توجيه الزيادة والعينية، وختمها بالتأكيد على عجز الإدراكات العقلية عن الإحاطة بمعرفة الله في ذاته وصفاته، كما تناول الإيمان القدر، وخلق الأعمال، وزبدة الرسالة الاختيارية لمولانا خالد النقشبندي، وأورد فيها تفاصيل هي: تأثير القدرة عند الأشعري، وبيان الأعمال الاختيارية عند الإمام الغزالي، وقول الأستاذ الاسفراييني في الاختيار، وشدّ حزام. انتقل إلى بيان أضداد ما أوجبه الدليل في حقّ الله تعالى مستحيل، ثم **بيّن** الجائز في حقّ الله تعالى، ونفي وجوب شيء على الله تعالى، فضلا عن نفي القبح والظلم عن أفعال الله تعالى، ثم التأكيد على حصر الحكم فيه سبحانه وتعالى، وأخيرا مباحث هامة من مباحث التكليف، وفيها أدرج إسناد بعض الأفعال إلى الله تعالى، والآثار المتولّدة، ومبحث الأجل، ويستفاد منها التمييز المنهجي بين الصفات في المنظومة الأشعرية، والاختلاف في شأن الحال ثبوتا ونفيا، ثم الأبعاد التربوية لمعرفة الصفات، والإحالة عليه إحالة على البُعْد المنهجي في الرؤية الإسلامية للوجود.

5- **الكلمة الثانية من الكلمتين (الشهادتين)(محمد رسول الله) (ﷺ)**، آثر فيها الحفاظ على مصطلح الصبرة مع تغيير التفريع من الجفنة إلى المكيال، وفرّع عنها الإشارة إلى مقام سيّدنا محمد (ﷺ)، ثم بعثة الأنبياء والمرسلين، والإيمان بالرسل، والجائز والمستحيل على الأنبياء، والكف عن الاقتصار على بعض الأنبياء، ووجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وعدم التمييز بينهم في أصل الوصف بالنبوة والرسالة، والنبوة اختيار إلهي، وأوّل الأنبياء وآخرهم، وأصول النبي من أمّه وأبيه، انتقل إلى الإيمان بالملائكة وجودهم، وعصمتهم من الذنوب، وأنهم ليسوا ذكورا ولا إناثا، والإيمان بصدور أعمال عجيبة عنهم، وبيان وظائف بعض منهم، ومراقبة الملائكة وفي تصرفاتهم في ما أذنوا فيه. ثم بيّن الإيمان بكلام الله وكتبه، فعرّف بكلام الله، والكلام النفسي، ووصف الكلام باعتبار سائر الوجودات، واهتبل الفرصة لبيان قسمي الكلام، ومختصر الكلام النفسي، وعدد الكتب المنزّلة وما يتبعه، وأنّ الوعد والوعيد لا خلف فيهما، وحمل نصوص السنة على الظاهر إذا عدم المانع، وختم ببيان حكم من ردّ ما دلّ على الأحكام وكذا ردّ الظاهر بإطلاق وتقديم الباطن ، وأنّهما كفر، ثم بيّن ما تعلّق بالإسراء والمعراج ونقد مواقف المشككين فيهما، وحقيقة الإسراء والمعراج بالنبي (ﷺ)، ثم أفرد للولاية والكرامة صبرة، وفيها بيّن أنّ فيوضات الأولياء مستفاضة من بحر النبي(ﷺ)، وأنّ الكرامة وهب إلهي ينقض العادة، ودلّل على وقوع الكرامة، وأنّ نقل الكرامات متواتر، وأنّ الولاية رشحة من فيوضات قلبية وهي ثمرة الالتزام بالأخلاق النبوية، وتنبّه إلى أنّ رتبة الكرامة ليست النبوة، وأنّ التكليف عام يلزم الشريف والوضيع، وأفضل الأولياء الصحابة، وختمها بأفضلية الخلفاء الأربعة، وانتهى بما ختمت به المصنفات الأشعرية مبحث الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافة الخلفاء الراشدين والحسن(رضي الله عنهم) ثابتة، وفرّع عنها جواز تقديم

[1] -نقل عن أبي الحسن الأشعري(ت: 333هـ) القاضي الباقلاني(ت405هـ)ي، أبو إسحاق الاسفراييني(ت 418هـ):والجويني(ت478هـ)، والغزالي(ت: 505هـ)، الآمدي سيف الدين (ت: 631هـ): البيضاوي ناصر الدين (ت: 685هـ): سعد الدين التفتازاني (ت: 791هـ): السيّد الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) العارف سيدي محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ)' جلال الدين الدواني (ت:918هـ)، فضلا عن أبي منصور الماتريدي(ت: 333هـ)

المفضول على الأفضل في الخلافة، والعود للانقياد والتسليم لكون الأفضلية على ذلك المنهج القويم، ثم سرد فضائل الخلفاء الراشدين بالترتيب الذي عرفه أهل السنة الأشاعرة، وألحق بها فضائل الحسنين الأحسنين (رضي الله عنهما)، وأنهاها بتكملة في المقام اللائق بالصحب والأئمة العظام، وفي النهاية عقد قسما للإمام وشروطه وصفاته ونصبه وعزله، وطرق نيل رتبة الإمامة، ، ثم انتقل إلى تنبيه تعليمي بأفق تربوي ومنهجي مفاده: لا تكفير إلاّ لمن تيقّن موته على الكفر، ولا تكفير لأهل القبلة، والمجتهد معذور، وتصديق الكاهن كفر، والصدقات تنفع الأحياء والأموات، ونشهد بالجنة للعشرة المبشرين بها، وجواز المسح على الخف، وألحق بها حبات متواليات، هي مباحث بعض أشراط الساعة، وفيها مسألة ظهور المهدي، والنار والدخان إلى تمام العشر آيات الساعة، وأحوال البرزخ، والمعاد، والشفاعة، والصراط والميزان، وكلّ ا سبقت الإشارة إليه لا يخلو من بُعْد عملي وتنبيه منهجي.

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الحاجة إلى الأمر بالمعروف النهي عن المنكر متجدّدة، لهذا خصّص له الشيخ مبحثا بيّن معناه وشروطه، وحكمه، وكيفية الوفاء بحقهما، والإخلاص فيهما، ومناقشة شبه تاركه، واستثمر السانحة للتنبيه إلى آداب مهمة (ترك التجسس، واليأس)، ووجوب التوبة، وأنّ أعلى المقامات هو الجمع بين الإسلام والإيمان والإحسان، وبعد كلّ هذا الزخم المعرفي العالي ينبّه إلى ضرورة التحلي باستدعاء الاستعانة في الكيل وحمل الأوقار، فكانت سانحة تَـرَجٍّ في غاية التضرّع والابتهال لتجلي ظهور حضور جمال ذي الجلال لأنّه نهاية الآمال والمآل.

رابعا: البعد المنهجي للاستدلالين(الكلامي والعرفاني) على وجود الله:

1- الاستدلال الكلامي على وجود الله في المنظومة:

معرفة الله أساسها الدليل في المذهب الأشعري، وهي السمة العامة لعلم الكلام عند المسلمين وبهذا يطعّم المسلم عبر العصور ضد تأسيس إيمان بلا سند من حجج العقول، فلا يقبل الإسلام إيمانا مؤسسا على المختالة أو المغالطة أو السحر أو الأسطورة، أو... فلا إيمان من غير سند من حجج العقول، ولا تكليف على فاقد العقل، لهذا وضع المسلمون القاعدة الذهبية **"إن كنت نقالا فالصحّة وإنْ كنت مدّعيا فالدليل"**، وهي لب الاستدلال في المعرفة عموما، الذي لا قوام له إلاّ بها، وضعوا ذلك بتوجيه من دينهم، **قال تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}**[الإسراء: 36].

ثمرة الدليل الإيمان بمفهوم الإسلامي، وهو المستفاد من كتاب الله وسنّة رسوله (ﷺ)، والإيمان أمان على العقل والقلب والسواعد، وأمن على الحياة الفردية والجماعية، بل يستوعب الأمن كلّ الكائنات[1]، وفي ذلك تعليم وتربية على أنّ الدليل المسلك الأساسي لولوج الدين، وأنّ الخارج منه والمشاغب عليه لا دليل معتبر عنده، منهجه المغالطات المنهجية، لهذا كان الاستدلال بمقتضى النقل والعقل تطعيم متجدد للمسلم عبر العصور، وتذكير بالمباحثات العقلية الصارمة في مسألة الإيمان بالله، والإيمان بالله كما يقوم على الدليلين الكلامي(الإني) يقوم أيضا على الدليل العرفاني (اللمي) في منظومة الفضيلة.

2- الاستدلال العرفاني وامتداداته التربوية:

أ- نبّه الشيخ المولوي عبد الرحيم إلى العلاقة بين الاستدلال والعرفان، ووصف أهل العرفان بما يخوّل تقديم أدلّتهم، قال (رحمه الله) في سياق بيان أهمية الإحسان من حيث التقعيد السلوكي[2]:

مَن ذَكروا وفكّروا وَعَبَروا عن ذي بأمثال الحضور عبّروا
لا سيّما ساداتنا النقشيّة الفرقة الفَرْشِيَة العَرْشِيَّة
كانت لهم بالصادقين ربطة وهَفْوَةُ الهُفاةِ فيها هابطة

يستشف من الأبيات أنّ مسلك العرفان يُعَد أساس طريق القوم في التحصيل المعرفي والانضباط السلوكي، وهو في اصطلاحاتهم يتراوح بين تلقي تدفق المعرفة الجوانية على القلب، وبين انكشاف المعرفة على العارف، فهي بين أنموذجين، أولهما التطهّر المفضي إلى كشف المعرفة عن نفسها للعارف المتجرّد من حوله وقوته، المتحرر من أسر ما فَتَحَ الله به عليه، فيحيل حين الحركة والتفكّر على الواهب، ولا حظ لنفسه في نفسه.

[1] – راجع: علاقة التربية الفكرية بمعارف الإيمان، عمار جيدل، الفصل الرابع من كتاب جماعي، التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود، ص: 141.

[2] - الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 67.

أمّا الثاني فإنّه أهل للتعرّف أي الكشف لا لانكشاف المعرفة، بل لجهده (بتوفيق من الله) صار موطّأ القلب لتحصيلها، فهو بالتطهّر تهيّأ لتحصيل المعارف بِبُعْدَيْها العلمي والتربوي التسليكي والسلوكي والمنهجي.

والفرق بين النموذجين (الأول والثاني) أنّ الثاني هو تطهير للحصول، أما الأوّل كأنّ المعرفة (بشقيها العلمي والتربوي والمنهجي) هاجمة على قلبه وعقله، والثانية كأنّها مكتشفة بالعقل للقلب، وإن شئت بالقلب للقلب.

يشير الشيخ إلى الارتباط الوثيق بين حقيقة الإحسان وقواعد العرفان، مفاده أنّ من فَقَدَ الإحسان، فَقَدَ ما به يعبر إلى العرفان، ولهذا وجب معرفة شروط تحصيل المعرفة بالعرفان.

ب- **شروط تحصيل العرفان:** يستفاد من الأبيات أن تحصيل العرفان مشروط بجملة شروط موضوعية: **أولا: استدامة الذكر**، إذْ به يَذْكُر ويَتَذكَّر ويُذَكِّر ثم يُذْكَر في الملء الأعلى، أي الذكر الذي لا تنساه أثناء الذكر، فتتذكّره، وحين التذكّر تكون مذكّرا لغيره بهذا الوضع، ومن ثمّ تطمع أن تكون من المذكورين عند الله، وهذا هو الذكر الذي ترجى فائدته.

ثانيا: استدامة الفكر، دوام الفكّر المصاحب للذكر: والتفكّر في المذكور وسيلة فعّالة لإسعاف الذاكر لطبع المعاني في الضمير، وتحكيمها في الأفعال والأقوال والأحوال، يستوعب التفكّر كلّ العوالم المحيطة لأنّها من تجليات أسماء الله الحسنى المذكور بها في كلّ حين.

ثالثا: الذكر المتفكّر المثمر: إنّ الذكر المتفكّر في الكائنات وسيلة فعّالة للعبور بالروح من عالم الأشباح إلى فالق الإصباح، والمداومة على ذلك تطلّبا للفتح الإلهي تكسب ملكة شهود تجليات الإله الفتاح، فتهيمن على الأنفاس، فتطرد الغفلة، إذا استغرقت كلّ الأوقات في السرّ والعلن.

ج- **العرفان حاضر وحضور:** اختار الشيخ التدليل على واقعية هذا المسعى بذكر نماذج عملية للحضور المستوعب مع الله، ذكرا وتفكّرا وتدبّرا، فاستعان بمعجم السادة النقشبندية، إنّ عالم الأرواح بذكر يصحبه تفكّر ييسّر العبور السلس إلى مقامات التربية.

3- التمييز بين طريقي الاستدلال والكشف.

أ- خصّص الشيخ عبد الرحيم عددا من الأبيات لبيان الفرق بين مقامي أهل الكشف والاستدلال في معرفة الله تعالى، فأهل الكشف يعتمدون الدليل (اللّميّ)، أما أهل الكلام فإنهم يستدلون بالدليل (الإنّي)، فالأوّل دليل متنازل من الحق إلى الخلق، والثاني متصاعد من الخلق إلى الحق.

ب- يريد الشيخ إسعاف المتلقي للترقي من الاستدلال الإنّيّ إلى مقام الاستدلال اللميّ، لهذا فهو يوجّه المتلقي إلى سلوك طريق القوم لنيل هذه الرتبة الرفيعة، فينفث في روعه الانتباه إلى التمييز الصارم بين المستدل به والمستدل عليه، فالذي يعرف الله مكاشفة أي عيانا لا يحتاج إلى الاستدلال عليه بمخلوقاته، بل يستدل بالله على مخلوقاته، ويشير الشيخ بهذا السياق إلى مراتب الناس في التعامل مع هذا المسلك.

الفريق الأول: الجمع المعرفي بين الاستدلال والكشف: أوفق الطرق لجمهور المتلقين الجمع بين المسلكين، فيكون المتعلّم مستظلا بظلال مقام الاستدلال، ولا يستزلّ عن طريق أهل الكشف، فهم أهل الكمال، ومن رام بلوغ هذا المقام فعليه بمعرفة طريق الفريق الثاني[1].

الفريق الثاني: تبني الطريق السريع لنيل المراد (الكشف): ينتظر من العاقل التام العقل أن يختار أسرع الطرق التي هي مظنة بلوغ المراد، فهو المسلك الذي يسعفك للترقي من مرتبة النظر في الخلق لمعرفة الحق إلى مسلك معرفة الحق طريقا للتعرّف على الخلق، فهو أسرع طريق وأنفذ أسلوب للانخراط الطوعي والعملي في مصاف العبودية التامة. وهؤلاء مرتبتهم أعلى ومقامهم أرفع، وحضورهم مع الله وبالله أرقى، وتربيتهم أجدى وأنفع[2].

الخاتمة:

---

[1] – قال الشيخ(الوسيلة، ص: 72): مِمَّن به لِمَنْ عليه يَسْتَدِلَ مسافة لا تستطِلُّ لا تستزلُّ

[2] – قال الشيخ مرشدا إلى الطريق السريع لنيل أعلى مراتب المراد: (الوسيلة في شرح الفضيلة، ص: 72–74.)

عليك بالحركة السريعة مِنْ ذي لِذي المرتبة الرَفِيعَة

واخترْ مِنْ الصنفين أيَّ صفِّ شئت ففيه فَكِّرَ نْ أو صَفِّ

فاحفَظْ تَفَهَّمْ، ثم انظُرْ صدقِ علمًا فَعَينًا، ثم حَقًّا حَقِّقِ

مصغِي أهل الحقِّ والتَرَقِّي لِمْ؟ هُمْ النُجاةُ بَيْنَ الفِرق

منه. وإذْ قد خلتا عن خلل فبهما يُرجى قبولُ العمل

تبني النظم في تقريب العلوم ميزة محمودة، تيسّر حفظ المعارف وفهمها وتفهيمها، وقد كانت منظومة "الفضيلة" أكبر شاهد على تحكّم ناظمها بناصية اللسان العربي، فضلا عن الإحاطة بعلم الكلام في مصادره وأعلامه ومصطلحاته.

قدّم الشيخ المولوي أرجوزته الكلامية على مشرب السادة الأشاعرة، ولكنّها جاوزت المسلك التقليدي في عرض مسائل العقائد، إذ طُبِعَت عبر مختلف عصور التأليف بقصر الاهتمام على الجوانب النظرية التجريدية، فهي خلو في الغالب الأعم من العناية بالأبعاد التربوية والسلوكية والتسليكية، وهو تلافته هذه المنظومة المباركة، فقد احتفلت في سياق عرض الاستهلال بتطهير القلب لتلقي المعارف الإيمانية، وهو مدخل منهجي ومعرفي في الوقت نفسه، يهيئ المتعلّم للانخراط الطوعي في التلقي بأفق علمي عملي، وهي الهدف المتوخى في عرض ممهّدات دراسة العقائد، فكانت هذه المقدّمات تربية علمية منهجية بامتياز، كما تجلت هذه الخاصية في القسم الثالث الذي أفرد للعقائد وأبعادها المعرفية والمنهجية، تعرض العقائد مشفوعة بالفوائد المستفادة منها، وبهذا كانت منظومة "الفضيلة" نُقْلَة نوعية تسعفنا لاستعادة درس معارف الإيمان وهجه ورسالته العملية، وذلك بجمعها إلى العناية بالإحسان والتعرّف على أئمته والكشف والعرفان والتربية، فقد جمع الشيخ عبد الرحيم المولوي بين الكلام والطريق، أي بين معارف الإيمان والحقيقة، فكان النظم حقيقة وعقيدة في الوقت نفسه.

ثبت المصادر والمراجع:

1- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة الثانية، 1395هـ - 1975م

2- إبراهيم النظام بن سيّار النظّام وآراؤه الكلامية الفلسفية، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

3- أصول الدين، أبو اليسر محمد البزدوي، تحقيق هانز بيتر لنس، ضبطه وعلّق عليه، أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1424ه – 2003م.

4- أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين آمدي، تحقيق أحمد محمد المهدي، مكتبة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423ه- 2002م.

5- إشارات المرام من عبارات الإمام، العلامة كمال الدين أحمد البياضي الحنفي، تحقيق يوسف عبد الرزاق، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى،1368ه- 1949م.

6- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004م.

7- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ-1998م

8- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، نشر وعناية محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية بالجزائر، سنة 1326ه/1908م.

9- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 910هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الأولى، 1960-1995م

10- تاريخ الحكماء، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، لبسيك 1320ه

11- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1404ه.

12- التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود (كتاب جماعي)، الفصل الرابع: علاقة التربية الفكرية بمعارف الإيمان، عمار جيدل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هلاندن، فلاجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى: 1442ه- 2021م.

13- التمهيد في أصول الدين، أو التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي الحنفي الماتريدي(ت: 508ه)، محمد عبد الرحمن الشافعي الأشعري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006.
14- الحديقة الندية في لطريقة النقشبندية والبهجة الخالديّة، قدّس الله أسرارهم العليّة، محمد بن سليمان البغدادي الحنفي (ت1234ه)، مكتبة الحقيقة 1433ه-2012م (طبع مع كتاب السعادة الأبدية فيما جاء به النقشنبدية، عبد المجيد الخاني النقشبندي (ت1319ه/1901م).
15- السعادة الأبدية فيما جاء به النقشنبدية، عبد المجيد الخاني النقشبندي (ت1319ه/1901م).مكتبة الحقيقة 1433ه-2012م
16- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ - 1985م
17- شرح العقيدة الكبرى، المسماة عقيدة أهل التوحيد، محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق السيّد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م – 1427ه.
18- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية – ومكتبها، القاهرة، 1349ه.
19- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة 1407هـ - 1987م.
20- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: 902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، لبنان.
21- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1413هـ
22- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت ق 11هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م، ص: 69-70
23- العقيدة الوسطى وشرحها، محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق: السيّد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ت.
24- علماء الكورد وكردستان، صالح شيخو رسول الهسنياني، مطبعة هاوار، دهوك، كردستان. 2012.
25- المطالب العالية، فخر الدين الرازي. تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1407ه-1987م.
26- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
27- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، لبنان.
28- مختصر نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد(لابن زكري)، أبي العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي، تحقيق عبد الرزاق دحمون، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011.
29- مطالع الأنوار على مطالع الأنظار، القاضي ناصر الدين البيضاوي، تحقيق وتقديم: عباس سليمان، دار الجيل، بيروت، لبنان، والمكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1411ه -1991م.
30- معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت:771 ه)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1968م.
31- المنهج السديد في شرح كفاية المريد، محمد بن يوسف السنوسي (ت:895هـ)، تحقيق مصطفى مرزوقي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، طبع: 1994م.
32- المواقف، عضد الدين الإيجي، مكتبة المتنبي القاهرة، د/ت.
33- الوسيلة في شرح "الفضيلة" في علم أصول الدين، للعلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقّب بالمولوي، الشيخ عبد الكريم محمد المدرس، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى 1392 هـ -1972م.

پوختەی لێکۆڵینەوە:

عقیده نامەی فەزیلەی شێخ عەبدولڕەحیم مەولەوی ، دەقێکی جیاوازە لە ئیلاهیاتی ئیسلامیدا ، تایبەتمەندی سوربون لەسەردەرخستنی بەرهەم و سوودەکانی بیروباوەڕ وەئاگادارکردنەوە لە سەر گرنگی پەنابردن بۆ خودا بۆ ڕزگارکردنی مرۆڤایەتی

وە جێگیرکردنی چەمکی کۆیلایەتی مرۆڤ بۆ خودای تیایە . چونکە بەهێزکردنی ئەم تێگەیشتنە لای ئەبێتە ، بناغەیەکی قوولّی فیکری و میتۆدۆلۆژی و پەروەردەیی ، کە لەسەر بنەمای ڕاستگۆیی گەرانەوە بۆ خوای گەورە بنیاد نراوە، ئەم بنچینەیە دەتوانێت ئەقڵ بپارێزێت و ڕێگری لە لە گۆڕان وزلبونی بکات. ئەمەش هۆکارێکی بەهێزە بۆ ڕێگریکردن لە ستەمی عەقڵ، چونکە مرۆڤ بەرەو کۆیلایەتیەکی پاک بۆ خودا لە ڕێگەی عەقڵ و دڵ و کردارەوە ئاراستە دەکات.

ئەم ڕەهەندە پەروەردەییە لە پێشەکی و دوو بەشەکەی دیکەدا بە دیار کەوتوە ، بەتایبەتی لەو بنەما بنەڕەتیانەی کە مەبەستی بوو لە نەوەی گەنجدا تێگەیشتنێک لە ئیستدلال و بناغەکانی بچێنێت. جەختی لەوە کردەوە کە هیچ باوەڕێک لەبەردەم خودای گەورە قبوولّ ناکرێت ئەگەر لەسەر بنەمای بەڵگە نەبێت.

پاشان لێکۆڵینەوەی لە دوو وشەی شایەتومانەکە کردوە ، کە بە شێوەیەکی گونجاو ناوی لێنا "بەهەشتێکی بەرهەمدار کە خۆشی بەختەوەری لە هەردوو جیهاندا هەڵدەگرێت". هەر بۆیە لە بەشی یەکەمدا تیشکی خستە سەر پێویستی پەروەردەکردنی نەوەی نوێ لەسەرچنینەوەی سوودەکانی ناسینی خودا و سیفەتەکانی، وە لە بەشی دووەمدا جەختی لەسەر پەروەردەکردن لە ڕێگەی **ناسین و دڵسۆزبوون بۆ ڕێگای پیغەمبەر** ﷺ دەبەخشێت چونکە مەزنترین شەرەف ئەویە کە لە ڕێگای زانینی پێگەی پێغەمبەر ﷺ و وبەدەست هێنانی بەرهەمی گوێرایەڵیدایە بۆزاتی شەرێفیان.

The "Virtue" system by Sheikh Abdul Rahim Al-Malawi is a distinguished text in the field of theology, characterized by its keenness to clarify the fruits and benefits of beliefs, and to alert to the importance of seeking refuge in God to save humanity, and to establish the ownership meanings of humans to God, empowering them as a great cognitive, methodological, and educational approach, based on the sincerity of affiliation to God, which is an effective factor in preventing the mind from wandering, as it leads it to the context of pure servitude to God with the mind, heart, and hands.

Sheikh Abdul Rahim structured his system according to the Ash'ari division of the theology study, imprinting its content with the comprehensive integration between theology and its educational dimension. This dimension was evident in the introduction and the remaining two sections, characterized by cognitive preludes aimed at educating the generation on the knowledge of inference and its foundations, and emphasizing that no creed is acceptable to God unless it is based on evidence. Then, he elaborated on the significance of the two testimonies, naming them with a name that speaks of their fruit (a fruitful paradise of the two upbringings). The first stressed the necessity of educating the generation on the attainment of the knowledge of God and His attributes, while the second emphasized education through the knowledge of the greatest means (our Master Muhammad), as honor lies in knowing the status of the Prophet and embracing the fruit of compliance with it.

The system was abundant in its organization (the source, the legislated, the patient, the eyelid, the chamber, the paradise, the happiness, and...) with the educational dimension, also manifested in its sections (the introduction, the prefaces, the beliefs). It is a comprehensive system between knowledge, methodology, and their fruits in worldly success and prosperity in the Hereafter. The author revisited and consciously resumed the Ash'ari lesson of theology, surpassing it by reinstating care for education and familiarizing it with a scientific and methodological approach.